الفصل الثاني
الموارد المالية للدولة الموحدية

أولاً – الموارد الشرعية :

أ – أخماس الغنائم والفيء

ب – الزكاة

ج – الخراج

د – الجزية

هـ – الضرائب التجارية والصناعية:

١ – العشور التجارية

٢ – أخماس المعادن

و – أموال المسلمين التي ليس لها مالك

ثانياً – الموارد غير الشرعية :

أ – الإتاوات

obeikandl.com

ب – المصادرات :

١ – مصادرة أموال الموظفين المتجاوزين

٢ – مصادرات أخري

جـ – القبالات والمكوس الصناعية والحرفية

ثالثاً – جباية الأموال ووفرتها :

أ – مواعيد الجباية

ب – مناطق الجباية

ج – طرق الجباية

د – وفرة الأموال

obeikandl.com

لاشك أن تدبير المال عمل ملكى، بل هو أهم مقومات الحكومات[١]، من هذا المنطلق سوف نتعرض فى هذا الفصل للموارد المالية فى دولة الموحدين وتنوعها وذلك من حيث تصنيفها ومصدرها . كما سنتناول جباية تلك الأموال وذلك من حيث مناطق ومواعيد وطرق جباية تلك الموارد، كما سنتطرق إلى أى مدى توافرت الأموال فى خزانة الدولة .

أولاً – الموارد الشرعية :

وهى الموارد التي وافقت الشرع من أحد جوانبها أو من كل جوانبها، حيث ضم هذا النوع من الموارد أخماس الغنائم والفئ والزكاة والخراج والجزية، وبعض الضرائب التجارية والصناعية مثل العشور التجارية وأخماس المعادن، بالإضافة لأموال المسلمين التي ليس لها مالك.

أ – أخماس الغنائم والفئ :

شرع الله الغنائم التي يظفر بها المسلمون من الكفار بالقتال ويأخذونها عنوة وقهرا، وقد بين القران الكريم الغنائم وما يخص بيت المال منها، وذلك في قوله تعالى﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢]، فهذا الخمس من الغنيمة هو من موارد بيت المال الشرعية، وما بقى بعد الخمس للمقاتلين من المسلمين يقسم بينهم . إلا فى حالة

---

[١] ابن تيمية : مصدر سابق، ص١٩،على عبد الرازق : الاسلام واصول الحكم [بحث فى الخلافة والحكومة فى الاسلام]، مطبعة مصر، القاهره، الطبعة الثالثة ١٩٣٥م، ص٥٤.

2) سورة الأنفال:أية٤١.

الأراضي المفتوحة عنوة، فقد يرى الإمام وقفها على المسلمين، وعدم تقسيمها وفى هذه الحالة تعتبر جميع إيراداتها من موارد بيت المال[١].

وإذا نظرنا إلي الدولة الموحدية نجدها نشأت عن الفتح، شأنها فى ذلك شأن الدول السابقة فى شمال أفريقيا، لذلك كانت أخماس الغنائم تمثل المورد الرئيس من دخل الدولة نتيجة لكثرة الحروب واستمرارها[٢].

إلا أن هذا المورد الشرعي تحول إلي مورد غير شرعي في بعض فترات دولة الموحدين، وذلك بسبب أن الموحدين اعتبروا أعداءهم من المسلمين كفاراً، فأحلوا دماءهم وأموالهم واسترقوا نساءهم وأطفالهم خاصة في بداية الدولة[٣]. ويمكن تقسيم غنائم الموحدين إلى ثلاثة أقسام رئيسية علي أساس المكان الذي حصل منه علي الغنائم:

القسم الأول غنائم بلاد المغرب نتيجة معارك توحيد تلك البلاد، وكانت أولي تلك الغنائم عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١م تقريباً فى عهد ابن تومرت، من خلال كمين نصبته هرغه [٤] لمجموعه مهاجمة لهم من قبل أبو بكر بن وربيل اللمتونى حاكم

---

[١] النووي : مصدر سابق، مخطوطة، ورقة١١٧.

[٢] أحمد الجمال : مرجع سابق، ص ١٥٥، روجى لى تورنو : مرجع سابق، ص ١٢٣،

- Abdellatif Sabbane: Op.Cit,p.305,306.

[٣] عبد الواحد المراكشى : وثائق المرابطين والموحدين، ص٨٠،٨١، أحمد الجمال : مرجع سابق، ص ١٥٥، روجى لى تورنو : مرجع سابق، ص ١٢٣،

- Abdellatif Sabbane: Op.Cit,p.305,306.

[٤] هرغة : قبيلة المهدى بن تومرت وهى قبيلة مصمودية، أسمها البربزى أرغن، تشتمل فى الوقت الراهن على البطون التالية : بنى عثمان وبنى تامودان وأران والجرف، انظر : البيذق : أخبار المهدى، ص٣٣، ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٣٥٩.

السوس من قبل المرابطين، ونتج عن هذا الكمين أن غنمت قبيلة هرغة أكثر خيلهم وسلاحهم، فكانت أول غنيمة للموحدين[١].

ويحصي لنا البيذق الغزوات التى قام بها ابن تومرت، فيذكر تسع غزوات ضد القوات المرابطية، لا مجال لذكرها هنا، وما يهمنا هنا أن معظم هذه الغزوات قد غنم منها الموحدون مغانم كثيرة من المرابطين[٢].

وجاء عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ليستمر فيه تدفق الغنائم على الموحدين، ففى هذا العام حدثت موقعة" كيك" – قبيل موقعة البحيرة[٣] بفترة صغيرة – والتى غنم فيها الموحدون مغانم كثيرة من جيش القائد المرابطى تميم بن على بن يوسف، كان أهمها الأموال التى ستوزع على جند المرابطين كعطايا بالإضافة إلى أسلحتهم و مؤنهم[٤].

وكانت أول غزوة لعبد المؤمن بن على بعد أن تولي أمر الموحدين لمدينة تادلا[٥] بوادى درعة[٦]عام ٥٢٦ هـ/ ١١٣١م، ثم اتجه بعدها الخليفة عبد المؤمن بن

---

[١] ابن القطان : مصدر سابق، ص ١٢٩، ١٣٠.

[٢] أخبار المهدي : ص ٣٥-٣٩، جمال أحمد طه : مرجع سابق، ص٩٦.

[٣] موقعة البحيرة : وقعة كبيرة جرت أمام باب الدباغين، وباب إيلان من مراكش، يوم السبت ٢ جمادى الأول ٥٢٤هـ / ١٢أبريل ١١٣٠، هزم فيها المرابطون الموحدين، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، منهم أحد زعمائهم عبد الله بن محسن البشير الونشريسى، انظر : البيذق : المقتبس، ص٢٤.

[٤] ابن القطان : مصدر سابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

[٥] تادلا : من بلاد المغرب الاقصي، وهى مدينة قديمة أزلية، بنى المرابطون فيها حصناً منيعاً كان معموراً وفيه الأسواق والجامع، والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق، وأحاطت به القبائل من جميع الجهات، انظر : مجهول : الاستبصار، ص٢٠٠، الحميرى : مصدر سابق، ص١٢٧.

[٦] ابن القطان : مصدر سابق، ص ٢٢٣ ، ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٣٠٦ .

على إلى بلاد السوس[١]، من أجل السيطرة علي تلك البلاد وهو مانجح فيه بالفعل، ونتج عن ذلك غنائم ضخمة تمثلت فى الماشي والدواب والعبيد والجوارى وذلك نتيجة لغنى تلك البلاد[٢].

وكانت أضخم غنائم للموحدين من بلاد السوس من مدينة "تارودنت"[٣]أعظم معاقل المرابطين فى بلاد السوس وذلك عام٥٢٩هـ/ ١١٣٥م[٤]. وفى عام٥٣٠هـ/ ١١٣٥م هزم الموحدون المرابطين فى موقعة "مصكروطن "، واستولى الموحدون على أموال ضخمة من المرابطين فى تلك المعركة[٥].

---

[١] بلاد السوس(Al-Sus) : تقع هذه المنطقة عند نهاية بلاد البربر، وتبدأ من المحيط الأطلسي غرباً، وتنتهى عند نهر السوس شرقاً، والذى استمدت المنطقة منه أسمها، كما تبدأ من رمال الصحراء جنوباً، وتنتهي عند جبال الأطلس شمالاً عند تخوم بلاد حاحه . وهى مدن كثيرة وبلاد واسعة يسقيها هذا النهر العظيم، وعليه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة والبساتين، أنظر : الاصطخرى : المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة٢٠٠٤م، ص٣٤، ابن الوزان الزياتى : مصدر سابق، ص١٢٤.

[٢] ابن القطان : مصدر سابق، ص ٢٣٧، ٢٣٩، عبد الأحد السبتى وآخرين : مرجع سابق، ص٦٠،٦١.

[٣] تارودنت : مدينة كبيرة شيدها قدماء الأفارقة، توجد فى إقليم السوس، وتقع تقريباً على مسافة تزيد قليلاً عن أربعة أميال جنوبى الأطلس، وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلاً شرقى تيوت، أنظر : ابن الوزان الزياتى : مصدر سابق، ص١٢٩.

[٤] ابن القطان : مصدر سابق، ص٢٣٧، ٢٣٩، على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص١١٠.

[٥] ابن القطان : مصدر سابق، ص٢٤٩، انظر خريطة رقم (٢ – ب) .

كما حصل الموحدون على غنائم كثيرة من حركة عبد المؤمن بن على الكبرى والتى بدأها عام ٥٣٤ هـ / ١١٤١ م وانتهت عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م[١]، لاسيما أنه أثناء تلك الحركة تقابل الجانبان على الطريق المؤدى إلى مكناس، حيث تم للموحدين الاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم لم يسبق لهم أن ظفروا بمثلها من المرابطين[٢]. كما تم للموحدين أثناء تلك الحركة الاستيلاء على مدن مغربية رئيسة مثل مدينتى تلمسان ووهران[٣]عام٥٣٩هـ/ ١١٤٤م ، ومدينة فاس عام٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م، ونتج عن ذلك بالطبع حصول الموحدين على غنائم كبيرة نتيجة لما تتمتع به هذه المدن من وضع اقتصادى متميز[٤].

كما شهدت الفترة التى سبقت دخول مراكش مباشرةً استمراراً فى تدفق الغنائم على الموحدين، فقد غزى الموحدون "برغواطة"[٥]وعادوا منها بالغنائم . ثم اتجه عبد

---

(١) ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٣٠٦، حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الاندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهره، الطبعة الاولى ١٩٩٦م، جـ٢، ص ٩٧، ع.السعيدى : مرجع سابق، ص٥٤، وانظر خريطة رقم (٣ – ب).

(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق، جـ٢، ص٩٧، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص١١٥.

(٣) وهران (Oran): مدينة بالمغرب الأوسط على ساحل البحر، على بعد مائة وأربعين ميلاً من تلمسان، أقرب المدن إلى المغرب الأقصى، أُسست فى حوالى عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، حيث بناها جماعة من الأندلسيين البحريين، أنظر : البكرى: المصدر السابق، ص٧٠،٧١، الزهرى : مصدر سابق، ص١١٣، الحميرى : مصدر سابق، ص٦١٢ ، ابن الوزان الزياتى : مصدر سابق، ص٣٩٩.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢ – ٢٥ ، على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص ١١٦، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص ١١٩.

(٥) برغواطة(bargwâta) : اتسم تاريخهم فى المغرب الأقصى بالغموض، فقد إختلف المؤرخون حول أصل البرغواطيين، فقال البعض أنهم كانوا قوماً جهالاً من زناته، ورأى البعض الأخر أنهم أخلاطاً شتى من قبائل البربر، وإعتبر البعض الآخر أن أباهم يهودى أندلسى، ورأى آخرون أنهم مجوس أهل ضلال وكفر لهم ديانة خسيسة، وكانت مضارب قبائل برغواطة تقع فى إقليم تامسنا، انظر : البكرى :

المؤمن إلى مراكش، وسرح أبا حفص لغزو برغواطة فأثخن فيهم ورجع فلقيه فى طريقه وانتهوا جميعاً إلى مراكش، وقد انضم إليها جموع لمطة [١]، فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلاً وغنموا أموالهم وظعائنهم، وأقاموا على مراكش تسعة أشهر وأميرهم يومئذ اسحق بن على بن يوسف بن تاشفين (٥٣٩-٥٤١ هـ/ ١١٤٥ - ١١٤٦ م) [٢].

وتجدر الإشارة إلى أن فترة حصار العاصمة مراكش، والذى بدأ فى بداية محرم ٥٤١ هـ/

١٣ يونيو ١١٤٦ م، لم تخلُ من تدفق الغنائم المرابطية على الموحدين، فقد اعتقد إسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين بعد مرور عدة أيام على بدء الحصار أنه بإمكانه رد المحاصرين، لذا أمر حامية مراكش وقوامها خمسة آلاف وخمسمائة فارس بالإضافة إلى عدد كبير من المشاة، للخروج بكاملها لمواجهة الموحدين، إلا أن عبد المؤمن وضع كميناً تمكن بواسطته من مباغتتهم، مما أجبرهم على الفرار حتي باب دكالة . وبعد مطاردتهم قتل الكثير منهم، كما أخذ منهم ما لا يقل عن ثلاثة آلاف حصان[٣]. فى تلك اللحظة وصلت إلى مراكش قوات من لمطة للقتال بجانب المرابطين، غير أن مصيرهم لم يكن بأحسن ممن سبقهم حيث ألحق بها الموحدون

مصدر سابق، ص ١٣٤، ١٤١، مجهول : الاستبصار، ص ١٩٧، ١٩٨، ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٢٧٦.

[١] لمطة : هم قبائل أكثرهم مجاورون الملثمين من صنهاجة، ولهم شعوب كثيرة، وأكثرهم ظواعن أهل وبر، ومنهم بالسوس قبيلتا زكن ولخس . وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثمين، ومعظمهم يستقرون بين تلمسان وأفريقية، أنظر : ابن خلدون : مصدر سابق، ص ٢٧٠.

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٦، السلاوى : مرجع سابق، ص ٩٧.

[٣] ابن عذارى : مصدر سابق، ص٢٧، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص ١٣١ .

هزيمة نكراء، وأخذوا منها أعداداً كبيرة من الجمال[١].

وكان لسقوط العاصمة مراكش عام٥٤١ هـ /١١٤٦م أهمية كبيرة للموحدين من الناحية المالية، فقد استولى الموحدون على غنائم كثيرة من فتح هذه المدينة، فهى العاصمة وبها بيت المال الرئيس، وبها قصور المرابطين وممتلكاتهم وثرواتهم والتى كانت ضخمة، وفقاً لما ذكره صاحب الحلل الموشية : " واستولى عبد المؤمن على خزائن على بن يوسف، وذخائر لمتونة، مما يقصر على وصفه اللسان، ولا يأتى على شرحه البيان"[٢] .

ويبدو أن غنائم فتح مراكش كانت ضخمة جداً لدرجة أن جمعها استغرق شهرين من قبل الأمناء[٣]. أما من أُسر من أهل مراكش فقد تم بيعه بيع أسارى المشركين هم وذراريهم، ثم عُفى

عن بعضهم[٤]. وبهذه الطريقة انتهت ثروات إمبراطورية المرابطين فى بيت المال الموحدى[٥].

ولم يكتف عبد المؤمن بن علي بالاستيلاء على غنائم العاصمة مراكش، بل

---

[١] ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص ٣١٠، السلاوى : مرجع سابق، ص٩٧ .

[٢] الحلل : ص١٤٤، حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الاندلس، جـ٢، ص١٠٢،
Abdallah Laroui : Op.Cit , p.180.

[٣] البيذق : أخبار المهدى، ص٦٦، مجهول : الحلل، ص١٤٣، عبد الأحد السبتى وآخرين : مرجع سابق، ص٥٩،
- Abun-Nasr. Jamil. M : Op.Cit, pp.90to93.

[٤] ابن الخطيب : الإحاطة، جـ١، ص١٨٦،١٨٥.

[٥] مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق أحمد عزاوى، ص٢٢، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص١٣٤.

أرسل أبا حفص بعد الاستيلاء على مراكش بقليل على رأس جيش موحدى لإخضاع قبيلتى النفيس وهيلانه[١] الواقتعين بالسفوح الشمالية لجبال الأطلس . بعد ذلك توجه إلى قبيلة هسكورة[٢] التى يمتد مجالها إلى نهاية منطقتى درعة وتودغة، وقام بالاستيلاء على حصونها وعلى ما بها من غنائم وأسر ما بها من عذارى[٣].

ثم واصل الخليفة عبد المؤمن بن على أعماله العسكرية فى باقى بلاد المغرب التى لم تخضع لسيطرة الموحدين، فقد فتح مدينة مكناسة القديمة عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، بعد حصار دام سبع سنين، حيث قتل أكثر رجالها وسبى حريمهم وخُمست أموالهم[٤].

كما عمل الخليفة عبد المؤمن على الاستيلاء على باقى مدن الشمال الإفريقى واستولى على مدنه حتى برقة[٥]، فقد تمكن عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م من فتح المغرب

---

[١] النفيس وهيلانة : من قبائل المصامدة، ويبدو أن قبيلة النفيس ينسب إليها مدينة نفيس التى تقع بالجنوب الغربى من مدينة مراكش، انظر: البكرى : مصدر سابق، ص١٦٠، الحميرى : مصدر سابق، ص ٥٧٨، ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٢٩٩، ٣٥٦.

[٢] هسكورة : من قبائل المصامدة، وينسبون إلى دعوة الموحدين، وهم أمم كثيرة وبطون واسعة، ومواطنهم بجبالهم متصلة، من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة، وكان دخول بعضهم فى دعوة المهدى قبل فتح مراكش، ولم يستكملواالدخول فى الدعوة إلا من بعده، أنظر : ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٢٧١.

[٣] البيذق : أخبار المهدى، ص٦٧ .

[٤] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩١، السلاوى : مرجع سابق، ص١٠٤ .

[٥] برقة : هى مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وأفريقية بينهما وبين البحر ستة أميال، افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه عام إحدى وعشرين من الهجره، وفيها آثار للأول كثيرة، وعلى ستة أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحه، انظر : الحميرى : مصدر سابق، ص٩١.

الأوسط، فاحتلَّ الجزائر[١] وبجاية وقلعة بنى حماد[٢]، والأخيرة قد استولى منها على كثير من الغنائم، حتى إمتلأت أيدى الموحدين من الغنائم والسبى [٣].

كما استطاع الموحدون هزيمة القبائل العربية التى تجمعت فى موقعة "سطيف" عام ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣ م، واستطاعوا سبى نساءهم وأسر أبنائهم واغتنام أموالهم وأمتعتهم وأسلحتهم[٤] بشكل كان يصعب معه إحصاء تلك الغنائم من كثرتها[٥].

ويبدو أن غنائم موقعة سطيف كانت كبيرة جدا، يظهر ذلك من خلال الرسالة المرسلة من عبد المؤمن بن على إلى أعيان وأهل مراكش بخصوص تلك الموقعة، حيث أشار بها إلى الإمدادات والأموال والأمتعة التى كانت بحوزة القبائل العربية قبيل المعركة، والتى تركوها كلها خلفهم غنائم للموحدين، حيث جاء فيها : " فلم

---

[١] الجزائر : ومعناها الجزر وقد دُعيت بهذا الإسم لأنها مجاورة لجزر ميورقة ومنورقة، والمسافة بين أشير والجزائر وبين مدينة شرشال والجزائر سبعون ميلاً، وهى مدينة قديمة بنتها قبيلة إفريقية تدعى مزغنة = =ولذلك كان القدماء يسمونها جزائر مزغنة، والجزائر على ضفة البحر، وهى عامرة آهلة وأسواقها قائمة، انظر : الحميرى : مصدر سابق، ص١٦٣، ابن الوزان الزياتى : مصدر سابق، ص٤٠٨.

[٢] قلعة بنى حماد : هى مدينة تسمى قلعة أبو طويل أيضاً، بينها وبين مدينة المسيلة أثنى عشر ميلاً، وبين هذه القلعة وبين مدينة بجاية مسيرة أربعة أيام . وقد تحضرت قلعة بنى حماد عندما خربت القيروان، حيث إنتقل إليها كثير من أهل أفريقية، أنظر : الحميرى: مصدر سابق، ص٤٦٩، ٤٧٠.

[٣] ابن الاثير : مصدر سابق، جـ ٩، ص٣٧٣، السلاوى : مصدرسابق، ص١٠٧، ١٠٨، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢٠٤، ٢٠٥، حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، جـ ٢، ص ١٠٤، ١٠٥ .

[٤] ابن غلبون الطرابلسى : مصدر سابق، ص٨٥، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٨م ، جـ١، ص٣٩٦، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص ١٥٦.

[٥] مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق أحمد عزاوى، ص ٥٥.

تزل جيوشهم – يقصد القبائل العربية – على جهات قسطنطينة [١] تتوارد، وكتائبهم تتعاقد على الإعتزام وتتعاقد، وأمدادهم التى غصت لها تلك المشارع المعينة والموارد تتناصر على رايها الخاسرة وتتعاضد، إلى أن انتهوا مالاً ينتهيه العَدُ خيلاً ورجلاً، وعمروا أنجاد تلك الأرض وأغوارها وعراً وسهلاً، فما إستطاعتهم حملاً، ولا وسعت أن تكون لهم قراراً، ولا أن يكونوا لها أهلاً " [٢].

كما نجح عبد المؤمن من تحرير مدينة المهدية من الفرنجة، وتبالغ بعض الروايات التاريخية عند حديثها عن ما غنمه الموحدون من محاصيل فلاحيه عند مغادرة النصاري للمهدية، حيث تذكر تلك الروايات أن هذه المحاصيل بعد جمعها كونت جبلاً من القمح وآخر من الشعير [٣].

كما بعث عبد المؤمن بن علي حملة إلى قابس ففتتحها، ثم افتتح مدينة طرابلس الغرب [٤]، وأرسل أيضا جيشاً إلى بلاد الجريد [٥] وهى توزر وقفصة ونفطة والحامة

---

[١] قسنطينة(Constantina) : من أشهر بلاد إفريقية بين تيجس وميلة، وهى مدينة أولية كبيرة آهله فيها آثار قديمة، كثيرة الخصب رخيصة السعر، وبها أسواق وتجار، وأهلها مياسير ذو أموال، وقسنطينة حصينة فى غاية الحصانة لا يعلم بأفريقية أحصن منها، أنظر : الحميري : مصدر سابق، ص٤٨٠.

[٢] مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق أحمد عزاوي، ص٥٥ .

[٣] السلاوى : مرجع سابق، ص١٢٢، ١٢٣، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص ١٧٨، ١٧٩ .

[٤] طرابلس الغرب : من مدن إفريقية، بينها وبين جبل نفوسه ثلاثة أيام، وبينها وبين سرت عشر مراحل . وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر الذى يضرب فى سورها . وقيل معنى طرابلس ثلاث مدن، وقيل معناها مدينة النامس . وبها أسواق حافلة وحمامات كثيرة، وفى شرقيها بساتين كثيرة، وأهلها تجار يسافرون براً وبحراً، وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون، انظر :الحميرى : مصدر سابق، ص٣٨٩.

[٥] بلاد الجريد : هى آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء . وقد سُميت بلاد الجريد بهذا الإسم لكثرة النخيل بها ؛ وهي مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة، كثيرة الخصب والبساتين، انظر : مجهول :

وباقى تلك البلاد، ففتحها كلها وكل تلك المناطق بالطبع كانت مصدراً للغنائم[١].

أما القسم الثانى من الغنائم فهى التى أتت من انتصارات الموحدين ببلاد الأندلس . فقد دخل الموحدون فى معارك كثيرة مع الفرنج فى الأندلس، حصلوا منها على أموال كثيرة . فقد وجه الموحدون جهودهم ناحية غرب الأندلس لأول نزولهم الأندلس عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، ففى غرب الأندلس خاضوا معاركهم الكبرى، واستطاع الموحدون أن يتغلبوا على الأسبان بعد كفاح طويل، وأن يضمُّوا إليهم جميع الأراضى التى استولى عليها النصارى إبان إضطراب الأندلس بعد ضعف المرابطين[٢]. وبالطبع كانت لكل تلك المعارك أثرها فى زيادة موارد بيت المال الموحدى من أموال الغنائم فى عصر عبد المؤمن بن على وغيره من الخلفاء .

وقد استمرت غنائم الأندلس تأتى للمخزن فى عصر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م)، حيث خرجت الرسائل تبشر بمقدار الغنائم التى حصل عليها الموحدون فى تلك الفترة، ومنها تلك الرسالة الصادرة من السيدين عمر وعثمان ابنى الخليفة عبد المؤمن إلى الطلبة والأشياخ بإشبيلية، يخبرونهم فيها بما أحرزوا من نصر ومقدار الغنائم التى حصلوا عليها من الفرنجة فى معاركهم بالأندلس عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م . فقد غنموا من تلك المناطق غنائم ضخمة بالإضافة إلى عشرات الألاف من الدواب والماشية والغنم والتى من كثرتها

الإستبصار، ص١٥٠.

[١] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص ١٩٣.

[٢] الذهبى : سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٨٤-١٩٨٥، جـ٢٠، ص٣٧١، ٣٧٢، محمد العروسى المطوى : الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامى، بيروت ١٩٨٢م، ص٢٢٧، حسين مؤنس : مرجع سابق، ص١٠٢.

ملأت الوادى المتواجدين فيه : " فاستاقوا – أى جيوش الموحدون –من الغنائم من جهة غلّيرة وقرباقة وبسطة وجبال شقورة عدداً جماً وسوائم كثيرة من الدواب والبقر وعشرات الالآف من الغنم، فملأت الوادى، وإشتملت على كريمتها الأيادى "[١].

وفى نفس الرسالة يذكر غنائم الموحدون من ابن مردنيش[٢] وأعوانه من الفرنجة، حيث غنم

الموحدون معظم ما كان فى معسكر ابن مردنيش بعد هزيمته[٣] :"ونفّل الله من خيلهم ومطاياهم وإدراعهم وسائر أسلحتهم ما جلّ قدره وعمّ كثره "[٤].

---

[١] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

[٢] ابن مردنيش : هو محمد بن مردنيش، كان والده سعد بن محمد والياً للمرابطين على إفراغة، وقد تولى محمد بن سعد بن مردنيش حكم بلنسية بعد وفاة صهره ابن عياض يوم الجمعه الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول عام ٥٤٢ هـ الموافق ٢١ أغسطس عام ١١٤٧م ، ثم قام على بن عبيد والى مرسية بالتنازل لابن مردنيش عن حكمها فى جمادى الأولى عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م، وبذلك أصبح حكم ابن مردنيش يشمل شرق الأندلس . إستطاع ابن مردنيش أن يحافظ على وحدة إمارته وتماسكها، ودخل فى أحلاف وعهود ومواثيق مع ممالك النصارى وإمارتها ضد الموحدين، إلا أن توسع الموحدين فى بلاد الأندلس وشدة شوكتهم، جعلت الكثير من الممالك والإمارات الإسبانية النصرانية توقع معاهدات هدنة وحسن جوار معهم أو تحالفهم، وبهذا فقد ابن مردنيش الكثير من حلفائه الإسبان السابقين، وتوالت النكبات على ابن مردنيش، ولم يخلصه من مأساته إلا موته المفاجئ عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، ولم يتجاوز من العمر الثامنة والأربعين، وبموته آل حكم شرق الأندلس إلى الموحدين، أنظر : عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢٠٩، محمد على الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص١٤٤، ١٤٥.

[٣] ابن الخطيب : الإحاطة، جـ٢، ص ١٢٧.

[٤] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق : ص٢٠٦.

ورداً على هجمات البرتغاليين على سواحل الأندلس الغربية التى لم تنقطع منذ عام٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م، أمر أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م) بحملة بحرية ضد مدينة شلب[١] التى كانت تحت سيطرة البرتغاليين وذلك عام٥٧٧هـ / ١١٨١م، حيث أسر الموحدون خلال تلك الحملة نحو ألف وثمانى مائة جندى منهم، وأخذت منهم من القطائع نحو العشرين مع أسلابهم وأسلحتهم[٢].

وكان عصر الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) عصر الذروة للغنائم الأندلسية حيث تكاد تختفى الغنائم الأندلسية بعد عصره . فقد خرج يعقوب المنصور فى حملات متتابعة ضد نصارى الأندلس، ففى عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م خرج يعقوب المنصور فى حملته الأولى على الأندلس، حيث شن الغارات على مدينة أشبونة[٣] وأنحائها وعاد بعدها إلى بلاد المغرب بثلاثة عشر ألفاً من السبى[٤].

---

[١] شلب(Silves) : مدينة بالأندلس بالقرب من باجة ؛ قال العذرى : لها بسيط وبطائح تنفسح، وبها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه، وقلّ من أهل شلب من لا يقول شعراً ولا يتعاطى الأدب، انظر : القزوينى : مصدر سابق، ص٥٤١.

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٤٥، سحر السيد عبد العزيز سالم: مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للاندلس فى العصر الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ١١٣.

[٣] أشبونة : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم البآء الموحدة ثم واو ونون وفى آخرها هآء . وهي مدينة بالاندلس تقع غربى باجة، بينها وبين البحر المحيط ثلاثون ميلاً، وهى على جانب نهر يودانس، ومن أعمال أشبونة مدينة هنترة وبشنترة . ولأشبونة البساتين والثمار المفضلة على غيرها، انظر : أبو الفداء : مصدر سابق، ص ١٧٢،١٧٣.

[٤] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢١٨، السلاوى : مرجع سابق، ص ١٦٢.

ولما علم الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور وهو ببلاد المغرب من استيلاء الفرنجة على مدينة شلب وباجة ويابورة[١] فى غرب الأندلس وذلك عام ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠ م، أرسل إلى قواد الأندلس يأمرهم بغزو بلاد الفرنج، واستعادة تلك المدن فخرج هؤلاء القواد فى حملة تحت قيادة محمد بن يوسف والى قرطبة، فأعادوا تلك المدن تحت سيطرة الموحدين، ورجعوا إلى قرطبة فدخلوها ومعهم خمسة عشر ألفاً من السبى، وثلاثة آلاف أسير[٢].

وكانت أعظم غنائم حصل عليها الموحدون فى عصر هذا الخليفة هى غنائم معركة الأرك(Alarcos)[٣] عام٥٩١ هـ/ ١١٩٥ م، فقد غنم المسلمون من نصارى الأندلس شيئاً عظيماً [٤]. وتقدم لنا الرواية الإسلامية عن غنائم معركة الأرك هذه

---

[١] باجة ويابُورا : هناك باجة مدينة بأفريقية ببلاد المغرب، وهناك باجة مدينة بالأندلس وهى المقصودة فى سياق المتن، وهى من أقدم مدن الأندلس، بنيت فى أيام الأقاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وتفسير باجة فى كلام العجم " الصلح"، وحوز باجة وخطتها واسعة، ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة . أما يابُورا أو يبورة فهى أيضاً من مدن الأندلس، بينها وبين مدينة القصرين مرحلتان، وبينها وبين بطليوس مرحلتان أيضاً، وهى مدينة كبيرة عامرة بالناس، لها أسواق وقصبة، ومسجد جامع، وبها الخصب الكثير، انظر : الحميرى : مصدر سابق، ص ٧٥، ٦١٦.

[٢] ابن ابى زرع : مصدر سابق، ص٢١٨، السلاوى : مرجع سابق : ص١٦٤، ١٦٥.

[٣] موقعة الأرك : يذكرها البعض بصيغة أراك أو الأركو، والغالب أن تنطق بسكون الراء والكاف بدليل قول الأديب أبى المطرف بن عميره فى رسالة إلى الأمير أبى زكريا الحفصى إلتزم فيها السجع : وهو المعروف بيوم الأرك أكبر وقائع أهل التوحيد على طواغيت الشرك، فإلتزام السجع يقتضى تسكين الراء، فضلاً عن الاسم الإسبانى فيه تسكين الراء أيضاً، هذا ولا يزال يوجد إلى الآن فى هذا المكان دير بإسم(Santa Mariade Alarcos)أى المدينة الملكية فى جنوب جبل الشارات، أنظر : ابن الأثير : الكامل، جـ١٠، ص٢٣٧، ابن العبرى : مصدر سابق، ص٣٩٠، أحمد مختار العبادى : مرجع سابق، ص ٣١١.

[٤] ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، تحقيق الاب انطون صالحانى اليسوعى، دار الرائد اللبنانى، بيروت،

أرقاماً قد يكون بها بعض المبالغة ولكنها تدل علي ضخامة ما غنمه الموحدون من تلك المعركة، فيذكر لنا ابن الأثير أن من أُسِرَ من نصارى الأندلس ثلاثة عشر ألفاً، كما غنم المسلمون منهم شيئاً عظيماً، فمن الخيام مائة وثلاثة وأربعون ألفاً، ومن الخيل ستة وأربعون ألفاً، ومن البغال مائة ألف، ومن الحمير مائة ألف[١].

والمقرى من جانبه يعرض لنا أرقاماً أخرى أكثر ضخامة عن غنائم تلك المعركة، سبقه الذهبى فى ذكر بعضها، حيث يذكران أن من أسر ثلاثين ألفاً، وغنم المسلمون من الخيام مائة وخمسين ألف خيمة، ومن الخيل ثمانين ألفاً، ومن البغال مائة ألف، ومن الحمير أربعمائة ألف، أما الجواهر والأموال فلا تحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والفرس بخمسة دراهم، والحمار بدرهم[٢] . وفى موضع آخر يحدثنا المقرى عن باقى غنائم موقعة الأرك، حيث ذهب لبيت المال من غنائم تلك المعركة أيضاً من دروع الإفرنج ستون ألف درع[٣].

ويرجح أن غنائم موقعة الأرك قد احتوت – بالإضافة لما سبق – أموال تجار وأغنياء يهود، صاحبوا جيش النصارى أثناء تلك الموقعة، أملاً منهم شراء أسرى المسلمين المتوقع وقوعهم فى أسر جيش الفرنج، فكان مصير معظمهم القتل، وغنم الموحدون كل ما كان فى أماكن إقامتهم من أموال بما فيها الأموال التى أعدوها

بيروت، الطبعة الثانية١٩٩٤، ص٣٩٠ .

[١] الكامل : جـ١٠، ص٢٣٧، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، جـ٥، ص ٢١١، محمد رشيد ملين : مرجع سابق، ص١٥٢، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص ٣٥٧، صالح الأشتر : مرجع سابق، ص٧٥.

[٢] دول الاسلام : تحقيق حسن اسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٩م، جـ٢، ص ١٠٠، نفح الطيب : جـ١، ص ٤٤٣ .

[٣] نفح الطيب : جـ٤، ص٣٨٢.

لشراء أسرى المسلمين[١]. ويعبر عن ضخامة غنائم معركة الأرك العبارة التى ذكرها الذهبى فى معرض حديثه عن تلك الموقعة، فيقول : " واستغنى المسلمون إلى الأبد"[٢].

ورغم ذلك لم يكتف الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور بغنائم تلك الموقعة، فقد تقدم بجيوشه عقب تلك الموقعة مباشرةً إلى بلاد الأسبان، وأخذ يفتح المدن والقرى والحصون والمعاقل، ويقتل ويسبى ويأسر، حتى وصل إلى جبل سليمان وقد امتلأت أيدى المسلمين من الغنائم، وفى العام التالى التقى هو وألفونسو ملك النصارى مرة أخرى، فانهزم الفرنجة مرة ثانية وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والدواب وغيرها . ثم تقدم المنصور إلى مدينة طليطلة فحاصرها وشن الغارات على ما حولها من البلاد، وفتح فيها عدة حصون مثل قلعة رباح ووادى الحجارة ومجريط وجبل سليمان وافليج، وكثير من أحواز طليطلة [٣]. ثم ارتحل عن طليطلة إلى مدينة طلمنكة[٤]، فدخلها عنوة بالسيف فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية وغنم أموالها [٥]. ولكن هل حصل الموحدون على غنائم من إخماد الثورات

---

[١] الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس، دار الكاتب العربى ١٩٦٧، د.م، ص ٤٥، إمبروسيو هويشى ميراندا : مرجع سابق، ص٣٥٤.

[٢] دول الاسلام : ص١٠٠.

[٣] طليطلة : مدينة كبيرة بالأندلس من أجلّ مدنها قدراً وأكثرها خيراً تسمى مدينة الملوك، ومن طيب تربتها ولطافة هوائها تبقى الغلات فى مطاميراها سبعين عام لا تتغير، وبها القنطرة العجيبة التى وصفها أنها قوس واحد من أحد طرفى الوادى إلى الطرف الآخر، أنظر: القزوينى : مصدر سابق، ص٥٤٥،٥٤٦.

[٤] طلمكنة : مدينة بثغر الأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، بينها وبين وادى الحجارة عشرون ميلاً، أنظر: الحميرى : مصدر سابق، ص٣٩٣ .

[٥] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٢٩، السلاوى : مرجع سابق، ص١٧٢ .

والقضاء على المتمردين ؟

أما القسم الثالث من غنائم الموحدين فقد جاءت من خلال القضاء على الثورات والمتمردين، فقد كان إخماد تلك الثورات مصدراً آخر من مصادر غنائم الموحدين . فمثلاً غنم عبد المؤمن بن على أموال قبيلة دكالة التى ثارت عقب ثورة الماسى بالمغرب الأقصى كما سبى منهم الألاف حيث باع المرأة منهم بدرهم والغلام بنصف درهم[١].

كما حصل الموحدون على كثير من الغنائم والأموال بعد أن قضى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على ثورة ابن منغفاد بجبل غمارة[٢]عام ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م، حيث غنم الموحدون من الأبقار أثنى عشر ألفاً، ومن الغنم سبعة وعشرين ألفاً وثلاث مائة، ومن السبى ثلاثة آلاف وست مائة وسبعة وأربعين، ومن الدواب ستمائة وسبعة عشر[٣].

كما غنم الخليفة أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور من قوات

---

[١] مجهول : الحلل، ص١٤٧ .

[٢] ثورة ابن منغفاد : هى ثورة قامت فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمغرب الأقصى، قادها سبع بن منغفاد أو منحفاد وتبعه قبيلة غمارة، وكانت هذه الثورة خطيرة على كيان الدولة الموحدية، ولذلك خرج لهم الخليفة الموحدى على رأس جيوشه الجرارة للقضاء عليها . وفى عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م تمكن الموحدون من إنزال الهزيمة بقبائل غمارة المنحازة إلى هذا الجبل، وكانت هذه الهزيمة سبباً فى دخول الكثيرين من غمارة فى طاعة الموحدين، وأصبحت قوات الموحدين تحرز إنتصاراً بعد إنتصار حتى إستطاعت أن تلقى القبض على سبع بن منحفاد ثم قتله وصلبه من نفس العام، انظر: ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٩٥، ٩٦، على الصلابى : اعلام اهل العلم والدين باحوال دولة الموحدين، ص ١٤٦،١٤٧.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ٢٤٤.

قراقوش[١] وحلفائه من بنى غانيه[٢] والقبائل العربية عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م بعد عدة معارك لاسيما بنواحى قابس ما كان فى حوزة عدوه، حيث سبى نساءه وأطفاله، وقادهم إلى مدينة فاس ومعهم الغنائم الهائلة التى استولى عليها[٣].

وقد استمر الموحدون فى غنم أموال بنى غانية فى عصر أبي عبد الله محمد الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢١٤م)، ليس فى بلاد المغرب فقط ولكن فى عقر دارهم، حيث استولت حملة عسكرية موحدية بقيادة أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن وأبي سعيد بن أبى حفص – من أشياخ الموحدين – على جزيرة ميورقة[٤] ففتحاها عنوةً، وقتلا عبد الله بن إسحاق بن غانية الأمير عليها، وكان

---

[١] قراقوش : هو شرف الدين قراقوش التقوى مملوك تقى الدين عمر بن أخى صلاح الدين الأيوبى، وهو شخصية أخرى غير بهاء الدين قراقوش الأسدى وزير صلاح الدين ونائبه فى مصر، وكان فى الأصل مملوكاً لعمه أسد الدين شيركوه . وكان شرف الدين قراقوش هذا قائداً للجنود الغز الأتراك الذين قدموا من مصر وإستقروا فى قابس، انظر : ابن غلبون الطرابلسى: تاريخ طرابلس الغرب المسمى "التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار"، تحقيق الطاهر احمد الزاوى، المطبعة السلفية، القاهره ١٣٤٩٠هـ ص٥٣، ٥٤، أحمد مختار العبادى : مرجع سابق، ص٣٠٦.

[٢] بنو غانية(banû ghâniyya) : هم محمد بن غانية وأولاده الذين إستقلوا بالجزر الشرقية، أى جزر البليار {ميورقة ومنورقة ويابسة } وأعلنوا ولاءهم للمرابطين وللخلافة العباسية، وأخذوا فى إحتلال بعض المناطق فى شمال أفريقية، انظر : عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص ٢٢٣ – ٢٢٦، أحمد مختار العبادى : مرجع سابق، ص٢٩٩.

[٣] مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق أحمد عزاوى، ص٢٠٦، شارل فيرو : الحوليات اللييية منذ الفتح العربى حتى الغزو الايطالى، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى – ليبيا، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م، ص٥٦، ٥٧.

[٤] ميورقة(Mallorca) : جزيرة فى بحر الزقاق، تقع جنوبها مدينة بجاية، ومن الجوف برشلونة، بينهما مجرى واحد، ومن الشرق منها تقع جزيرة منورقة(Menorca) بينهما أربعون ميلاً، كما تقع فى شرق ميورقة جزيرة سرادنية، وفتى غربها جزيرة يابسه(Ibiza) . وقد فتح المسلمون

ذلك فى عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٣م، حيث استطاع القائدان من نهب أموال هذا الأمير وسبى حريمه[١].

وكانت ذروة غنائم الموحدين من بنى غانية عام٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م، وذلك فى الموقعة التى حدثت بين بنى غانية وحلفائهم من القبائل العربية، وبين الموحدين بقيادة أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتانى بأنحاء قابس بالقرب من رأس تاجرا، أثناء محاصرة الناصر للمهدية، وقد وصف ابن عذارى غنائم تلك الواقعة وضخامتها، فيقول: " واستولى الموحدون على تلك الأموال الفاخرة، والأحوال الضخمة الواسعة، وامتلأت أيدى الجماعة من سواد المحلة من العطاء والوطاء، وما غصبوه وسلبوه من أحواز أطرابلس، إلى أنظار بجاية منذ عشرين سنة، وقفل الشيخ أبو محمد عبد الواحد [٢]بسبيه ونفله وخيله، وكثير المغنم و قلة "[٣]. من ذلك النص

هذه الجزيرة عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م، ولكن تقلبت عليها قوات برشلونه عام ٥٠٨هـ/ ١١٤م لأول مرة، ثم إستولى المرابطون على هذه الجزيرة، ووليها محمد بن غانية المسوفى، وهو أول ولاة بنى غانية الذين تعاقبوا على ولايتها إلى أن كان آخرهم عبد الله بن إسحاق، الذى رفض فى البداية بيعة الخليفة يعقوب المنصور الموحدى، مما دعى الأخير إلى التوجه إلية بقواته لإسترداد المدينة وغيرها من المدن التى إستولى عليها عبد الله بن إسحاق، أنظر : الحميرى : مصدر سابق، ص ٥٦٧، ٥٦٨.

[١] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢٦٠.

[٢] أبو محمد عبد الواحد الحفصى : هو أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص عمر بن يحى الهنتاتى، وأبو محمد هو أول من تولى أفريقية من الحفصيين فى عهد الناصر الموحدى، وذلك بعد القضاء على حكم بنى غانية وأعوانه فى تلك المناطق، انظر : ابن الشماع : الادلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ١٩٨٤م، ص٤٨،٤٩.

[٣] البيان المغرب : قسم الموحدين، ص٢٤٥، ٢٤٦.، إلهام حسين دحروج : مرجع سابق، ص٨٠، إمبروسيو هويشى ميراندا : مرجع سابق، ص ٣٩٩.

يمكننا أن نستشف كيف تمكن الموحدون من وضع أيديهم على كل الثروات الضخمة التى جمعها أولئك الرحل طيلة عشرين عاماً، من أعمال النهب التى كانوا يقومون بها بتلك المنطقة الشاسعة أطرافها، والممتدة ما بين طرابلس وبجاية . وتحصى بعض الرويات التاريخية لبعض غنائم تلك المعركة، فتشير إلى ثمانية عشر ألفاً من أحمال المال والمتاع والخرثى والآلة[١].

وقد كرر الشيخ أبو محمد بن أبى حفص هزيمته لبنى غانية وحلفائهم من العرب، وغنم غنائم هائلة بالإضافة إلي حشد من الأسرى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م[٢]. وفى العام التالى أى عام ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م كان للشيخ ابن أبى حفص وقعة أخرى مع القبائل العربية لاسيما قبائل سليم حيث نقل أشياخهم بأموالهم، كما ضرب محمد بن عبد السلام والي طرابلس على أنظار نفوسة وسلب قصراً وجد به أثاثاً وأموالاً وأثقالاً لهؤلاء[٣].

وجدير بالملاحظة إلى أن الغنائم كانت تستخدم فى بعض الأحيان ككمين لاصطياد الأعداء، وبالتالى الحصول على المزيد من الغنائم، وهذا ما حدث عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م عندما وصلت قوة مرابطية من قبيلة جزولة[٤] إلى منطقة جبلية

---

[١] ابن خلدون : العبر ، جـ٦، ص ٣٣٤.

[٢] ابن عذارى : مصدر سابق، ص٢٥٤، ٢٥٥ ، شارل فيرو : مرجع سابق، ص٥٨، ٥٩.

[٣] ابن عذارى : مصدر سابق، ص ٢٥٧.

[٤] قبيلة جزولة : وهم من قبائل بربر البرانس وبطونهم كثيرة، ومعظمهم بالسوس ويجاورون لمطة ويحاربونهم، ومنهم ظواعن بأرض السوس، وجزولة إخوة لصنهاجة الأم، فلذلك اضيفوا إليهم فى الترتيب، انظر : ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٢٧١، مطير سعد غيث أحمد : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها فى مجتمع السودان الغربى { خلال القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة، السادس عشر والسابع عشر للميلاد }، دار المدار الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص ٤٨.

طمعاً فى انتزاع الغنائم من الموحدين التى حصلوا عليها فى وقت سابق، فلما علم عبد المؤمن بذلك لجأ إلى الحيلة فأمر برصد الكمائن، فى مضايق الجبل، وقدم الغنائم بين يديه، اجتذاباً للقوة المرابطية، وأمر الكمائن بالاندفاع نحوهم، إذا ما سمعوا قرع الطبول، نجحت خطة عبد المؤمن بن على نجاحاً تجاوز كل تقدير فى الحسبان، فقد هاجمت جزولة ساقة الغنيمة وقتلت بعض حراسها، فلما توسطوا مواضع الكمائن دقت الطبول فجأة فاندفعت الكمائن صوب جزولة وأبادوها عن آخرهم، واستولوا على أسلحتهم ودوابهم[١].

كما تجدر الإشارة إلى أن الغنائم كمورد مالى لم يكن فى أمان فى بعض الأحيان، فقد تعرضت الغنائم الموحدية فى بعض الفترات لكثير من المخاطر، مثل الإغارة على من يجمع تلك الغنائم أثناء عملية الجمع، أو الإغارة عليها أثناء حملها إلى المخزن[٢].

وهكذا كانت المغانم والأموال التى يحصل عليها الموحدون من هذه المعارك، تشكل مصدراً هاماً من مصادرالدخل نظراً لكثرة المعارك التى خاضها الموحدون . وترجع أهميتها فى الأساس إلى تنوعها، فالثروات المهمة قد حصل عليها الموحدون من المرابطين والحماديين[٣] والنصارى فى بلاد المغرب والأندلس، بالإضافة للغنائم

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٥، على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص١١١، ١١٢ .

[٢] ابن عذارى : مصدر سابق، ص ١٨، ١٩

[٣] الحموديين : هم بنى حماد بن حبوس الزيرى الصنهاجى، ويعتبر التاريخ الرسمى والعملى لقيام دولتهم هو عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، لكن الفترة الممتدة من عام ٣٩٥هـ إلى ٤٠٨هـ{١٠٠٤-١٠١٨م} كانت الفترة الحاسمة التى تمخض عنها قيام الدولة، وكانت عاصمة دولة بنى حماد أيام الفاطميين قلعة بنى حماد، ثم

التى استولوا عليها بعد قضائهم على كل الثورات والمتمردين [١]. ولم تكن الغنائم هى الأموال الوحيدة التى حصل عليها الموحدون من العدو، وكانت قوة الموحدين سبباً فيها، بل امتدت لتشمل أنواع أخرى !

فقد عرف العصر الموحدى الفئ[٢] كمورد مالى أيضاً ارتبط اسمه بساحات القتال . فالفئ هو الأموال التى حصل عليها المسلمون دون قتال أو صلحاً، نتيجة خوف العدو من قوة المسلمين العسكرية[٣].

مدينة بجاية بعد دخول القبائل العربية بلاد المغرب، انظر : مجهول : الاستبصار، ص١٦٧،١٦٨، عبد الحليم عويس : دولة بنى حماد [صفحة رائعة من التاريخ الجزائرى]، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩١م، ص٤٧.

[١] مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق أحمد عزاوى، ص٢٢، ابن الاثير : مصدر سابق، جـ٩، ص٣٧٣، عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص ١٩٣، ابن الخطيب : الإحاطة، جـ٢، ص ١٢٧، الذهبى : سير اعلام النبلاء، جـ٢٠، ص٣٧١، ٣٧٢، محمد جابر الانصارى : التفاعل الثقافى بين المغرب والمشرق فى اثار ابن سعيد المغربى ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، دار الغرب الاسلامى، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٢م، ص٣٥.

[٢] أوجه الإتفاق والإختلاف بين الغنيمة والفئ : فالأثنان يتفقان فى أن مصدر كل منهما غير المسلمين، وإن مصدر خمس كل منهما واحد . أما أوجه الإختلاف بين الأثنان، إن الغنائم أموال مأخوذة عنوة وبالقتال، فى حين أن الفئ مأخوذ عفواً وبغير قتال، وإن مصرف أربعة أخماس الغنائم يختلف عن مصرف أربعة أخماس الفئ ، انظر : ابن زنجوية : مصدر سابق، ص١١٢، ابى هلال العسكرى: الفروق اللغوية، تحقيق ابو عمر عماد – ذكى البارون، المكتبة التوفيقية، القاهره، د.ت، ص١٧٩، الماوردى : الأحكام السلطانية، ص١٦١، أحمد عبد العزيز المزينى : الموارد المالية فى الاسلام، جامعة الكويت، الكويت، الطبعة الاولى ١٩٩٤ م، ص١٠٨، ١١٠، ١١١.

[٣] ابن ادم القرشى: مصدر سابق، ص٥٨، ابن زنجوية: مصدر سابق، جـ١، ص١١٢ .

وهذا ما حدث عند إستيلاء الخليفة عبد المؤمن على مدينة تونس[١]، فقد توجه الخليفة إلى تونس وشرع مباشرةً فى محاصرتها يوم السبت جمادى الأولى عام ٥٥٤ هـ ٢٩ يونيو ١١٥٩ م،، وقد ادرك سكان تونس وقتئذ أنه ليس فى مقدورهم مقاومة الحصار أكثر من ثلاثة أيام، لذا أرسلوا وفداً من مشايخهم لإعلان خضوعهم . وبعد جهد جهيد نجح المشايخ فى إقناع عبد المؤمن بالعفو عن سكان المدينة، لكن شريطة تسليم نصف أملاكهم وثرواتهم إلى المخزن، دون أن يستثنى منها شئ غير ما يرتدونه من ملابس . وبعد أن مكث عبد المؤمن بن على بتونس ثلاثة أيام، غادرها فى اتجاه المهدية تاركاً نائباً عنه بها قريبه أبو محمد بن عبد السلام الكومى، الذى كُلف بنزع أملاك التونسيين وثرواتهم، وهكذا تعرضت المنازل للنهب وقام الموحدون ببيع ما استطاعوا من هذه المنازل وغيرها من أملاك، ولم يقتصر ذلك على تونس المدينة بل شمل ضواحيها، حيث أجبر الأهالى على تقديم نصف ما يملكونه إلى المكلفين بالتحريات[٢].

مما سبق يتبين أن قوة الموحدين العسكرية كانت سبباً فى الحصول على أموالٍ جمة، فى أشكال ومسميات شتى، ولكن رغم ذلك ولسوء الحظ فإن الحرب ليست مرادفاً بالضرورة للنصر، فانتصارات الموحدين والتى اعتمدوا عليها للحصول على الموارد

---

[١] مدينة تونس(Tunez) : مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة ثلاث أيام ؛ وبينها وبين البحر نحو ٤أيام ؛ وبينها وبين قرطاجنة نحو عشرة أميال ومرساهما واحد يسمى رادس . ومدينة تونس مدينة قديمة البناء لها سور عظيم ويدور بها حفير، وبها جامع متقن البناء مطل على البحر بناه عبيد الله بن الحبحاب هو ودار الصناعة، انظر : مجهول : الاستبصار، ص١٢٠.

[٢] مجهول : الحلل، ص١٥٣، ابن الأثير : مصدر سابق، جـ٩، ص٤٢٨، ٤٢٩ ، ابن خلدون : العبر، جـ٥، ص٢٣٨، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص١٧٥ .

الحربية السابقة، كانت محددة بأوقات وفترات معينة تخللتها أوقات من الهزائم أيضاً[١]. لذلك كان على الموحدين – بالإضافة للموارد الحربية السابقة – الاعتماد على موارد مالية أخرى، لذلك كانت الزكاة بنوعيها هى المورد البارز فى هذا المجال !

ب – الزكاة :

لقد اهتمَّ الموحدون بأخذ زكاة الفريضة من المسلمين، باعتبارها من مصادر دخل الدولة الأساسية، واستمر العمل بذلك إلى نهاية الدولة[٢]. ومما يدل على أن الزكاة كانت من مصادر الدخل الأساسية، أن كُتَّاب المخزن فى الولايات كانوا يعتبرونها ضمن مصادر دخل الدولة[٣].

ونتيجة لأن دولة الموحدين قامت على أساس دينى، فقد احتلت الزكاة منزلة هامة فى تطبيق أحكامها، وقد أكد الخليفة عبد المؤمن بن على هذا المعنى[٤]وذلك فى رسالته التى أرسلها إلى أهل بجاية، فى ربيع الثانى عام ٥٥٦ هـ/ ١١٦٠م، وهى الرسالة المعروفة برسالة الفصول، حيث جعل عبد المؤمن بن على مانع الزكاة كمن منع كل الفرائض، وهو يستحق الحرب والنكال، حيث جاء فيها : " وخذوا إيتاء

---

(١) ابن ابى زرع : مصدر سابق، ص٢٣٩، ٢٤٠ .

- Abdellatif Sabbane: Op.Cit,p.305 – 306.

(٢) ابن القطان : مصدر سابق، ص١٦٧، ١٦٨.

(٣) ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ٤٢، عز الدين عمر موسى : الموحدون فى الغرب الإسلامى، ص٢٨٠، أحمد الجمال : مرجع سابق، ص١٥٥.

(٤) عُرف ملوك المغرب بلقب " الأزكى " وهو لقب مأخوذ من الزكاة، وهى الزيادة، كأنه نسب إليهم الزيادة فى الرفعة ونحوها، أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١٥، ص ٢٨.

الزكاة، وبالكشف عن مانعيها، وتشخيص ممسكيها، أوالنزر اليسير منها، فالزكاة حق المال، والجهاد واجب على من منع منها قدر العقال، فمن ثبت منعه للزكاة، فهو لا حق بمن ثبت تركه للصلاة، فمن منع فريضة، كمن منع الفرائض كلها، ومن منع عقالا فما فوقه، كمن منع الشرع كله" [١].

ورغم أن زكاة الفطر سنة وليست فريضة إلا أنها سنة واجبة، كما أنها على أية حال تظل نوعاً من الأموال العامة التى تُجمع وهدفها هو كفاية الفقراء وسد حاجاتهم[٢]. ومن هذا المنطلق يبدو أن الموحدين اعتبروا زكاة الفطر من الأموال

---

[١] مجهول : مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفى بروفنسال، ص١٣٣، مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق أحمد عزاوى، ص١١٥، حسن على حسن : مرجع سابق، ص١٩٨،١٩٩،

- Abdellatif Sabbane : Op.Cit,p.293 .

وللمزيد عن الجانب الفقهي لزكاة الفريضة مثل الخاضعون للزكاة، وشروط الخضوع للزكاة، والأموال التى يجب فيها الزكاة، ونصاب ومقادير الزكاة، لاسيما في عصر الموحدين، انظر : القاضي عياض : مصدر سابق، ص ١١٩ – ١٢٣، الامام الشاطبي: فتاوى الامام الشاطبي، تحقيق محمد ابو الاجفان، نهج لواز، الوردية – تونس ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، ص ١٣٣. ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة المدبولى، القاهره، الطبعة الاولى ١٩٩٠م، ص٣٠٨، ٣٠٩، ابن عرفة : الحدود فى التعاريف الفقهية، المكتبة الازهرية رقم ٣٠٤٧٢٢ القاهره، ورقة ٣، القرافى: الذخيرة، تحقيق بو خبزة، دار الغرب الاسلامى، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٤م، جـ٣، ص٧، ٦٢،٦٧، ٦٨، ٧٣، ٧٤،٩٣، ٩٤، الرصاع : شرح حدود ابن عرفة أو الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفه الوافية، القسم الأول، تحقيق محمد ابو الاجفان والطاهر المعمورى، دار الغرب الاسلامى، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٣م، ص١٤٦، اسماعيل راجى الفاروقى وأخرين : أطلس الحضارة الاسلامية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مكتبة العبيكان، الرياض – المملكة السعودية، الطبعة الاولى ١٩٩٨م، ص٢٢٢.

[٢] القرافى: الذخيرة، جـ٣، ص١٧٠، ياسين محمد أحمد غادى : مرجع سابق، ص ٥٦.

ذات الأهمية الرسمية لدولتهم، فنجدهم يهتمون بها ويلزمون مسئولية تحصيلها لموظفين كبار بشكل يمكن معه أن نعتبر زكاة الفطر هذه من الموارد المالية – الفرعية – فى دولتهم، فالقاضى هو من كان يتحمل تحصيل أموال زكاة الفطر، ونستشف ذلك من الرسالة التى أرسلها الخليفة يعقوب المنصورمن مراكش إلى طلبة وأهل إشبيلية، وذلك فى آخر رمضان٥٨٠هـ / ١١٨٤م، فيقول : " أدام الله كرامتكم بتقواه، تأمرون العمال هنالكم بدفع جميع ما تحصل فى هذا العام من زكاة الفطر، للشيخ الفقيه القاضى أبى المكارم – أكرمه الله بتقواه – يوزعه على الضعفاء والمساكين رفقاً بهم، وتوسعةً عليهم، فاعتمدوا على ذلك إن شاء الله عز وجل "[١].

وتحتوي كتب الفقه أيضاً لاسيما التي ترجع لعصر الموحدين الكثير من تفاصيل دفع زكاة السنة مثل الخاضعين لها ومواعيد إخراجها وانواع الأموال التي تخرج منها هذه الزكاة ومقاديرها[٢].

جـ– الخراج :

كان الخراج ضريبة شرعية تُفرض علي أراضي المشركين الذين فُتحت بلادهم صلحاً أو عنوة[٣]. وقد ظل هكذا ببلاد المغرب في العقود الأولي من تاريخ دولة الموحدين حتي عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، ففي هذا العام – حسب رواية ابن ابي زرع – قام الخليفة عبد المؤمن بن علي بمسح شامل لأراضى بلاد المغرب حتى برقة طولاً

---

[١] مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق أحمد عزاوى، ص ١٩٠ .

[٢] القاضى عياض : الإعلام، ص ١٢٦، ١٢٧. ابن عرفه : مصدر سابق، مخطوطة، ورقة ٣، القرافى : الزخيرة، جـ٣، ص ١٥٩.

[٣] الماوردي : الأحكام السلطانية، ص١٨٦، ١٨٨.

وعرضاً بالفراسخ والأميال، ثم أسقط ثلث المساحة فى مقابل الجبال والأنهار والطرقات، وفرض الخراج على ما تبقى من الأراضى بما فيها أراضي المسلمين، وذلك بعد عودته من غزوة المهدية، وفى ذلك يقول ابن أبى زرع : " وفى هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد إفريقية والمغرب وكسّرها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى، بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً، فأسقط من التكسير الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون، وما بقى قسّط عليه الخراج، وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب " [١].

وقد قبل الدارسون هذه الرواية فى مجملها وخاصة تاريخ تسقيط الموحدين الخراج، وتحفظ البعض فى أن يكون عبد المؤمن أول من فرض الخراج فى المغرب. بل أن هناك من يري أن رواية روض القرطاس هذه تخلط بين فرض الخراج وطريقة جبايته[٢]. رغم أن ابن أبي زرع قد وُفّق في الفصل بين فرض عبد المؤمن الخراج وطريقة جبايته، وتوضيح كل من الجانبين علي حدي .

---

[١] الانيس المطرب : ص ١٩٨، ١٩٩، ابن ابى دينار: المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس، تونس ١٢٧٦هـ، ص١١٢، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٩٥، ٩٦، هشام أبو رميله : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية فى الاندلس، دار الفرقان، عمان – الاردن، الطبعة الاولى ١٩٨٤م، ص٣٨٩، ٣٩٠،

-Budgett Meakins : The Moorish Empire , London , 1899,p27

-- Terrasse : Op.cit , p 311 ,31

- Julien- Ch-andre : histoire de L` Afrique du Nord , de La Conquete Arabe , Paris, 1969, pp.111 ,112

[٢] عز الدين عمر موسى : النشاط الإقتصادى، ص١٧٤،

- Abdallh Laroui : Op.cit , p.184 .

-Yasser Benhima :Op.Cit , p.5.

كما أن هناك من يشكك في رواية ابن أبي زرع من جذورها، ويري أنها رواية منفردة ودليلهم علي ذلك أن ابن صاحب الصلاة والبيذق – وهما معاصران للاحداث – لا يذكران أن خراجاً قد فُرض وقتئذ[١]. وهذا رأي مبني علي دليل ضعيف لأن ابن صاحب الصلاة والبيذق لم يذكرا الخراج لأنهم مؤيدين للموحدين ومنحازين لدولتهم لذلك كان من الطبيعي أن يتغاطي هذان المؤلفان عن أخطاء إرتكبها الموحدون وتخالف الشريعة الإسلامية .

ومما يجعل رواية ابن أبي زرع أكثر مصداقية وأقربها للواقع أن الخراج لم يُذكر قبل فتح تونس كمصدر لدخل الدولة، بينما تردد ذكره فى المصادر بعد ذلك كثيراً[٢]. والراجح أن الخليفة عبد المؤمن بن على حين إتخذ هذا الإجراء كان له من المبررات ما دفعه إلى تنفيذ هذا العمل، ومن هذه المبررات :

أولاً : نظرة الموحدين إلى المرابطين على أنهم كفرة ومجسمين[٣] ومبدّلين لأحكام الله،

---

[١] عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص١٧٤ .

[٢] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ١٥٣، عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢١٣، ٢١٤، ابن ابى زرع : مصدر سابق، ص ٢٣٠، عز الدين عمر موسى : الموحدون فى الغرب الإسلامى، ص٢٨٤.

[٣] التجسيم صفة ألصقها الموحدون بالمرابطين، فقد إتهم المهدى ابن تومرت المرابطين بالشرك والتجسيم، لأنهم يقرون الصفات المادية إلى الله تعالى، وهى شبهة إشراك غيره معه . بينما سمى أتباعه وأصحابه بالموحدين تعريضاً بالمُرابطين فى أخذهم بالعدول عن التأويل، وهو يعنى بذلك أن أصحابه هم الذين يفهمون معنى تنزيه الذات الإلهية من الصفات المشبة، وواضح أن ابن تومرت قد تأثر فى هذه الناحية بآراء المعتزلة الذين كانوا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، انظر : ابن القطان : مصدر سابق، ص٢٤٩، ابن ابى زرع : مصدر سابق، ص١٨١، أحمد مختار العبادى : مرجع سابق، ص ٢٩٨.

ومن هنا ساوى الخليفة عبد المؤمن بين أرض المرابطين وأرض المشركين، فمن وجهة نظره كانت جماعة الموحدين هى الجماعة المؤمنة، أما المسلمون من غير الموحدين وحتى الموحدين المشكوك فى ولائهم فكانوا يعتبرون غير مؤمنين ويحق للجماعة أن تستولى على ممتلكاتهم وأموالهم وفرض الخراج على أرضهم [١].

ثانياً : احتياج الخليفة عبد المؤمن بن على للأموال لاسيما بعد أن شعر بقصور الزكاة والعشور والغنائم والجزية عن تمويل مشاريعه التوسعية، ولاسيما وأنه كان يتهيأ لفتح الأندلس، بعد غزوته التونسية، وقد شكا الجند من قلة الأموال[٢] . بالإضافة إلى زيادة نفقات الدولة التى ترامت أطرافها، وامتدت من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً وما تحتاجه أقاليم الدولة من حماية ورعاية، مع ميله إلى البناء والتعمير، فكان عليه أن يبحث عن مورد جديد ففرض الخراج[٣].

ثالثاً : ربما استند إلى فتوى بعض العلماء المحيطين به، أنه من حقه فرض الخراج على الأرض التى أسلم عليها أصحابها، مستندين فى ذلك لرأى الإمام أبى حنيفة

---

[١] مجهول : رسائل ديوانية موحدية، تحقيق احمد عزاوى، ص ٦، ١٩٣، ١٩٤، ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٢٤٧، حسن على حسن : مرجع سابق، ص١٩٧، حسين سيد عبد الله مراد : فلاحو فاس، ص ٧٥ .

[٢] الذهبى : سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص ٣٧١، ٣٧٢، عز الدين عمر موسى : الموحدون فى الغرب الإسلامى، ص٢٨٤ ، عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى، جـ٢، ص٢٥٥.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٨٤، حسين سيد عبد الله مراد : فلاحو فاس، ص٧٥، إحسان صدقى العمد وآخرين : مرجع سابق، ص٤٢،٤٣ .

الذى قررّ أنَّ الإمام مخير بين أن يجعلها خراجاً أو عشراً [١]، فإن جعلها خراجاً لم يجز أن تنقل إلى العشر، وإن جعلها عشراً، جاز أن تنقل إلى الخراج [٢].

ومن الواضح أن الخليفة عبد المؤمن بن على لم يتخذ هذا الإجراء إلا بعد أن استقرت الأوضاع فى البلاد، وصار له من القوة بحيث يفرض ما شاء من أنواع الجبايات . لذلك لم يتخذ هذه الخطوة إلا عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، بعد سقوط دولة المرابطين نهائياً بأربعة عشر عاماً، وبعد تمكن سلطانه على البلاد وصار لا ينازعه أحد مع جيوش جرارة تخضع لكلمته وتنفذ أوامره، ومن ثم فرض الخراج وهو واثق بأنه لن ينازعه أحد، فيما يتخذه من قرارات حتى لو كانت نزع ملكية جميع فلاحى

---

[١] يقسم المؤرخون أراضي المغرب حسب وضعية الأراضي في الدولة الإسلامية بشكل عام إلى ثلاثة أقسام :

أ – أراضى العشر : أى الأراضى التى أسلم أصحابها عليها، وأصبحوا مسلمين ظلوا مالكين لأراضيهم، يدفعون العشر بوصفهم مسلمين .

ب – أراضى الخراج المفتوحة عنوة : وهى تؤول إلى الدولة ويظل الخراج الذى يدفعه ساكنوها مسلمين كانوا أم غير مسلمين، وينظر إلى الخراج على أنه إيجار لا يجوز تخفيضه

ج – أراضى الخراج المفتوحة صلحاً : وفى هذه الحالة ينظر إلى الخراج على أنه وقفاً للدولة لا يجوز نقل ملكيتها، وفى الواقع لا يبدو أن الدولة بدأت أية محاولة لممارسة حقوقها بالنسبة لهاتين الفئتين، بل عاملت ساكنى الأراضى على أنهم مالكوها، على أنه يبدو أن الدولة على سبيل التعويض جبت ضريبة أراضى تعرف بالخراج عن جميع الأراضى دون تمييز، أنظر : ابن رجب = = الحنبلى : مصدر سابق، ص١٤١، ابن سلام : مصدر سابق، ص ١٣٢، هوبكنز : مرجع سابق، ص٦٠، اشرف طه ابو الدهب : المعجم الاسلامى، دار الشروق، القاهره، الطبعة الاولى ٢٠٠٢م، ص ٤٥.

[٢] الماوردى : الأحكام السلطانية، ص١٩٢، حسن على حسن : مرجع سابق، ص١٩٧، إحسان صدقى العمد وآخرين : مرجع سابق، ص ٤٢،٤٣.

المغرب [١].

ويفهم من الفقرة التي أوردها ابن أبي زرع أيضاً أن عبد المؤمن بن على قام بإجراء مسح منظم لأراضي المغرب لتقدير الخراج عليها .. ولعل عبد المؤمن حاول تقدير ما ينبغى ان يكون عليه إيراده، فعمد على إسقاط الثلث من مجموع مساحة ممتلكاته على أنه أراضى غير منتجة، وافترض بأن الباقى خاضع للخراج، وبذلك يكون الخراج فقط على الأراضى المنتجة . أي أنه لم يراعي الشريعة اوأى اعتبار لمبدأ الصلح والعنوة، فعبد المؤمن فرض الخراج على الأراضى الصالحة للزراعة، ولهذا أسقط الخراج عن ثلث الأراضى غير الصالحة للزراعة [٢] .

والراجح أن فرض الخراج على بلاد المغرب قد ساهم فى خلق الكثير من الصعوبات المالية لاسيما فيما يخص الملكيات الخاصة وكيفية التعامل مع أصحابها [٣]. لذلك قام عبد المؤمن من أجل حل تلك الصعوبات بعمل الكثير من المقاييس الدقيقة لبلاد المغرب، من أجل أن يظهر للشعب وكأنه لا يريد إلا الأموال الضرورية التى تحتاجها الدولة ولا يريد أن يظلمهم، وقد ساعده على ذلك بالطبع إدارة كفأة استطاعت تنفيذ ما أمر به من قياسات للأراضى [٤].

---

[١] حسين سيد عبد الله مراد : فلاحو فاس، ص٧٤، ٧٥.

[٢] السلاوى : مرجع سابق، ص١٢٤، جمال طه : مرجع سابق، ص٢٢٢، ٢٢٣، عز الدين عمر موسى : الموحدون فى الغرب الإسلامى، ص٢٨٤،٢٨٥،

- Abdallh Laroui : Op.cit , p.184.
- Abdellatif Sabbane : Op.cit , p . 297
-Yasser Benhima :Op.Cit , p.6.

[٣] مجهول : مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفى بروفنسال، ص٢١،٢٢، محمد زنيبر : مرجع سابق، ص٢٧٩، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص١٨٢.

[٤] روجى لى تورنو : مرجع سابق، ص٧١، ٧٢.

وأصبح ما قام به الخليفة عبد المؤمن بن على فيما يخص الخراج قاعدة سار عليها خلفاؤه الموحدون من بعده، فابن خلكان يصف الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بقوله : " وكان – أى يوسف بن عبد المؤمن – جمّاعاً منّاعاً، ضابطاً لخراج مملكته، عارفاً بسياسة رعيته "[١]، كما وصف عبد الواحد المراكشى الخراج فى أيامه، فيقول : " وكثرت فى أيامه الأموال واتسع الخراج" [٢]. كذلك اقتفى المنصور الموحدى سياسة أبيه : " وسلك فى جباية الأموال ما كان أبوه يأخذه ولم يتعده إلى غيره " [٣].

والراجح أن مقدار الخراج المتحصل كان كبيراً، فقد كان خراج إفريقية فى كل سنة وقر مائة وخمسين بغلاً من المال الصامت[٤]. وكان خراج مزارع الدولة من الزيتون مرتفعاً أيضاً، ومن أشهر تلك المزارع زيتون بحيرة[٥] مراكش الذى بلغ بيوعه ثلاثين ألف دينار مؤمنى فى العام [٦]، وزيتون بحيرة مكناسة الذى يُباع

---

[١] وفيات الأعيان : جـ٧، ص١٣١،

–Abun – Nasr. Jamil . M : Op.cit , pp.95 , 96.

[٢] المعجب : ص ٢١٢.

[٣] ابن ابى زرع : مصدر سابق، ص٢٠٨ .

[٤] الذهبى : سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ١٠٢ ، ابن خلكان : المصدر السابق، ص١٣٥، محمد المنونى : حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الاولى ١٩٨٩م، ص١٥، عز الدين عمر موسى : الموحدون فى الغرب الإسلامى، ص٢٨٥، ٢٨٦، عبد العزيز بنعبد الله : معطيات الحضارة المغربية، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠م ، جـ٢، ص٥٦.

[٥] البحيرة(*al-Bahîra*) : تعنى فى الإصطلاح المغربى البستان، انظر : مجهول : الاستبصار، ص١٨٧، ابن القطان: مصدرسابق، ص ١١٩.

[٦] مجهول : الحلل، ص١٤٦ .

بخمسةٍ وثلاثين ألف دينار سنوياً، وزيتون بحيرة فاس وكان مبيعه السنوى خمسون ألف دينارا ونحوها، وزيتون بحيرة تازا[١] بخمسةٍ وعشرين ألف دينار[٢]، كما وصل مجمل مجابى مدينة مكناسة فى كل عام مائتى ألف دينار[٣]، وربما يرجع إرتفاع كمية الأموال المحصلة من الخراج إلى أن خلفاء الدولة الموحدية جعلوا حداً للاختلال المالى السنوى الذى كان يعانيه من سبقهم من حكام المغرب والاندلس[٤].

ويرجح أن الخراج كان من الموارد ذات الأهمية الخاصة جداً للموحدين، حتى أنهم كانوا يحبسون الأشخاص الذين كانوا يتهربون من دفعه، فيذكر ابن الزيات شخصاً حُبس فى مال خراج عليه، فيقول ابن الزيات : " ولقد كان فيهم رجل

---

(١) تازا: من بلاد المغرب، أول بلاد تازا حدٌ ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب فى الطول، وفى العرض البلاد الساحلية، مثل وهران ومليلة وغيرهما، وقد بنى فيها مدينة الرباط أعنى فى جبال تازا، انظر : الحميرى : مصدر سابق، ص١٢٨.

(٢) ابن غازى : مصدر السابق، ص٥٠، عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص ٢٨٦، ٢٨٧ ، يوسف أشباخ : مرجع سابق، ص ٢٥٣.

بنو مرين : قبيلة رعوية من البربر اضطرت بعد وصول البدو من العرب إلى المغرب فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى إلى ترك مواطنها السابقة فى منطقة بسكرة والإستقرار فى السهول العالية حول واحة فقيق، وهم أخوة بنى يلومى ومديونة، وكان أغلبهم يعمل بالصيد وطرد الخيل والفأرة، وكانت جل أموالهم الخيل والإبل، انظر : ابن خلدون ; العبر، جـ٧، ص٢٢١،٢٢٢، روجى لى تورنو : مرجع سابق، ص١٠٣،١٠٤.

(٣) ابن غازى : مصدر سابق، ص٧٩ .

(٤) مجهول : مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفى بروفنسال، ص٢١،٢٢، الحسن السائح : مرجع سابق، ص٢٤٧.

محبوس فى مال كثير من الخراج "[١].

مما سبق يتضح أن الخراج كان دعامة اقتصادية كبرى، اعتمد عليها الموحدون فى الإنفاق على مشروعاتهم السياسية والحضارية [٢]، وهذا ما سنراه عند الحديث عن نفقات الموحدين .

د – الجزية :

تشير بعض الروايات التاريخية المشرقية إلى أن أهل الذمة واجهوا موقفاً صعباً فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على، حيث خيّرهم بين الإسلام أو ترك البلاد أو القتل، فأسلم طائفة ولحقت أخرى بدار الحرب، وخرب كنائسهم وعملها مساجد، وألغى الجزية [٣]. غير أن الأحداث تشير إلى وجود أهل الذمة ببلاد المغرب في عصر الموحدين واستمرار تحصيل ضريبة الجزية منهم، وذلك بسبب :

أولاً : أن الرواية الوحيدة التي تشير إلي فرض الاسلام علي أهل الذمة بمدينة مغربية هي لابن الأثير الذي ذكر أن عبد المؤمن بن علي فرض الإسلام على أهل الذمة بتونس[٤]، وكان هذا مرتبطاً بافتتاح المهدية وما فيها من الفرنج، ولم

---

[١] التشوف إلي رجال التصوف : ص ٣٥٥.

[٢] شارل فيرو : مرجع سابق، ص ٦٠، شوقى محمد يوسف حسن شحاته : الدور المغربى للبحرية المغربية فى عهد دولتى المرابطين والموحدين [٤٤٨الى ٦٦٨هـ / ١٠٥٦ الى ١٢٦٩م]، (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ١٩٩٦م، ص١٩٨،
- Abdellatif Sabbane : Op.Cit ,p. 312 ,313.

[٣] الذهبى : سير أعلام النبلاء، جـ ٢٠، ص٣٧٠، ابن الاثير : الكامل، جـ٩، ص٤٢٩، رضوان البارودى : مرجع سابق، ص٣٦.

[٤] الكامل : جـ٩، ص٤٢٩.

تشر المصادر التى اطلعت عليها أن الخليفة عبد المؤمن أرغم أحداً من أهل الذمة فى المدن المغربية الأخرى على إعتناق الإسلام[١] .

ثانياً : وجود عنصر أهل الذمة في بلاد المغرب فقد استخدم الموحدون النصارى فى جيوشهم كما فعل المرابطون، وقد استتبع ذلك وجود أحياء فى مراكش لإقامتهم[٢]. ومما يؤكد وجودهم بالعاصمة مراكش أنه حين حدث قحط فى عهد المنصور الموحدى خرجت طوائف المدينة كلها، ومنها اليهود والنصارى للاستسقاء والدعاء[٣]. ولم يكن وجودهم قاصراً على العاصمة بل كانوا فى أماكن متفرقة من البلاد، فقد كانت هناك جالية يهودية تعيش فى إحدى قلاع جبل فزاز[٤]، وكذلك بتلمسان[٥]، ووجود طائفة منهم تشتغل بالبناء فى مدينة سجلماسة عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م[٦].

ثالثاً : كانت تلك الجاليات تمارس شعائرها وطقوسها الدينية بحرية كاملة، خاصة اليهود لاسيما فى تلمسان، وذلك بشهادة قاضى قضاة يعقوب المنصور ومن

---

(١) ابن الاثير : الكامل، جـ٩، ص٤٢٩، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٣٧٠.

(٢) السلاوى : مرجع سابق، ص٢١١ .

(٣) عباس المراكشى : الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، فاس الطبعة الأولى ١٩٣٦ م، جـ١، ص٢٧٨، نقلاً عن : حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٣٧٠، ٣٧١ .

(٤) مجهول : الاستبصار، ص١٨٧ .

(٥) ابن سعيد : الغصون اليانعة، ص٣٣.

(٦) مجهول : الاستبصار، ص٢٠٢ .

بعده الناصر، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمسانى [١].

رابعاً: أن المنصور الموحدى أمر بتغيير زى اليهود المقيمين فى البلاد، وبطبيعة الحال لا يمكن أن ينفذ هذا القانون ويطبق هذا الزى إلا فى أناس يعيشون فى البلاد، ويراد تمييزهم عن غيرهم من بقية طوائف الشعب [٢].

خامساً: وجود شخصيات يهودية بارزة كانت على علاقة مباشرة بخلفاء الموحدين، مثل الطبيب اليهودى أبى إسحاق إبراهيم بن الفخار الذى عمل رسولاً بين ملوك النصارى بالأندلس وبين ملوك الموحدين فى العاصمة مراكش [٣].

سادساً : أن النصارى – وإن كانوا أقل عدداً من اليهود فى بلاد المغرب – فقد زاد عددهم بفعل رافدين متفاوتين فى تأثيرهما وهما : تغريب المعاهدين إلى البلاد الغربية فى العصر المرابطى، واستخدام "الروم" جنداً فمنذ عصر المأمون الموحدى(٦٢٧-٦٢٩هـ/ ١٢٣١-١٢٣٢م)[٤] أخذت الطوائف المسيحية تبرز بصورة واضحة فى بلاد المغرب على مسرح الأحداث، حيث التمس

---

[١] ابن سعيد : مصدر سابق، ص٣٣ .

[٢] الزركشى : مصدر سابق، ص ١٦، حسن على حسن : مرجع سابق : ص ٣٧١، عبد الله على علام : مرجع سابق، ص٢٤١، روجى لى تورنو : مرجع سابق، ص ٨٨.

[٣] ابن سعيد : المغرب، جـ٢، ص٢٠ .

[٤] المأمون : هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور، بويع بإشبيلية يوم الخميس ثانى شهر شوال من عام٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، قضى معظم ولايته فى نزاعات مع العادل وأبى زكرياء، وأن خلافته الحقيقية قد بدأت فى عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م، وقد توفى يوم السبت منسلخ ذى الحجة من عام٦٢٩هـ/ ١٢٣١م، انظر : ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٤، ٢٧٥.

المأمون مساعدة فرناندو الثالث ملك قشتالة له بفرقة من الجند النصارى ليتقوى بها على يحى بن الناصر[١]، الذى بويع له بالخلافة فى مراكش، وبالفعل أمده فرناندو بجيش بلغت عدته أثنى عشر ألف فارس، وفى مقابل ذلك تعهد المأمون الموحدى بالسماح لهؤلاء الجند النصارى ببناء كنيسة لهم وسط مراكش . كما ان مراسلات بابا روما لخلفاء الموحدين لاسيما فى أواخر عصر دولتهم، احتوت على دلائل تدل على وجود أديرة وكنائس ورجال دين، وعلى وجود النصارى بكثرة فى المغرب فى تلك الفترة ، لاسيما فى عصر الخليفة الموحدى السعيد (٦٤٠-٦٤٦ هـ/ ١٢٤٢-١٢٤٨م)[٢].

---

[١] يحى بن الناصر : هو الخليفة الموحدى يحى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور، وكنيته أبو زكرياء وقيل أبو سليمان، ولقبه المعتصم بالله، وقد إجتمع أشياخ الموحدين على بيعته بعد بيعتهم للمأمون وقتلهم العادل، وقد بويع وعمره ست عشرة سنة فبايعوه بجامع المنصور من قصبة مراكش بعد صلاة العصر من يوم الأثنين الثامن والعشرين لشوال عام٦٢٤هـ / ١١أكتوبر سنة ١٢٢٧، فإمتنع من = =بيعته عرب الخلط وقبائل هسكورة وقالوا قد بايعنا إدريس المأمون فلا تنكث بيعته، فجهز لهم يحى جيشاً من الموحدين والأجناد وبعثهم إلى قتالهم فهزمهم الخلط وهسكورة وهم فى طاعة المأمون، ورجع جل الموحدين منهزمين إلى مراكش بعد أن قتل منهم خلق كثير، وتوالت فى أيامه على عساكره الهزائم والقتل والأسر وسلبت أموالهم وتبدلت أحوالهم، كما ظل يحى فى صراع مع المأمون وولده الرشيد إلى أن قتل بفج عبدالله من أحواز رباط تازة، قتله عرب المعقل غدراً وذلك فى يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم، عام٦٣٣هـ / ٥ يونيوعام١٢٣٦م وحمل رأسه إلى الرشيد بمراكش، انظر : ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٤٨، ٢٤٩.

[٢] السلاوى : مرجع سابق، ص٢١١، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٣٧١، جمال طه : مرجع سابق، ص ١٦٩، ١٧٠، رضوان البارودى : مرجع سابق، ص ٤٠، عز الدين عمر موسى : النشاط الإقتصادى، ص١٠٧،عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى، جـ٦، ص ١٦٥، ١٦٦، ٢٠٧، جـ٢، ص٢٨١، ٢٨٢ .

السعيد : هو الخليفة الموحدى على بن إدريس بن يعقوب المنصور، أمه أم ولد نوبيه،

سابعاً – أن الموحدين لم يراعوا الشريعة الاسلامية فى فرض وجباية موارد مالية رئيسة، مثل فرض الخراج على كل سكان المغرب بما فيهم المسلمون[١]. خصوصاً مع كثرة نفقات الدولة بشكل لا يمكن التغاطى عن جباية الجزية من هؤلاء اليهود والنصارى[٢].

ثامناً – أن تجار أهل الذمة فى العصور الوسطى لاسيما اليهود– خاصة ببلاد المغرب – كان عليهم أن يبرزوا أينما كانوا شهادة تثبت أداءهم للجزية [٣]، وبالتالي لا يمكن أن يتحركوا أو يسافروا للتجارة إلا بعد أداء تلك الجزية . لاسيما مع وجود حالة من الكراهية الدينية التى كانت متفشية فى عالم العصور الوسطى بين المسلمين وغيرهم من النصارى واليهود، وما تبع ذلك من وضع قيود علي التجارة بين الطرفين[٤].

وكنيته أبو الحسن، ولقبه السعيد وسمى أيضاً بالمعتصم بالله، بويع له بالخلافة ثانى يوم وفاة أخيه الرشيد بحضرة مراكش وذلك يوم الجمعة العاشر من جمادى الأخير عام٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، وتوفى يوم الثلاثاء المنسلخ من صفر ٦٤٦هـ/ ٢٣يونيو عام ١٢٤٨ م، انظر : ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٥٦.

[١] ابن ابى دينار: مصدر سابق، ص١١٢، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٩٥، ٩٦، هشام أبو رميله : مرجع سابق، ص٣٨٩، ٣٩٠،

-Budgett meakins : Op.cit ,p27

- Terrasse : Op.cit , p 311 ,312

- Julien. Ch-andre : Op.cit , pp111 ,112

[٢] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٤٢، ٣٤٨، ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٨٠، ٨١، ٢٢٨– ٢٣٠، حسين سيد عبد الله مراد : فلاحو فاس، ص٧٥ .

[٣] امين توفيق الطيبى : دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والاندلس، الدار العربية للكتاب،١٩٩٧م، جـ٢، ص ١٤٠،

- Goitein : Amediterranean Society, Vol.I,Pp.61 ,70 , 344 .

[٤] مجهول : الاستبصار، ص٢٠٢، عز الدين عمر موسى : النشاط الإقتصادى، ص١١٣،

هكذا يمكن القول أن خلفاء الموحدين استمروا فى تحصيل ضريبة من أهل الذمة ببلاد المغرب ، يمكن تسميتها – حسب رأى ابن عرفه – بالجزية الصلحية [١] ولو أعلن الآخرون إسلامهم .

هـ – ضرائب تجارية وصناعية :

وهي الضرائب التي كانت تجبي من الحرف والأعمال الصناعية والتجارية، والتي ضمت العشور التي كانت تجبى من التجارة، بالإضافة إلي أخماس المعادن المستخرجة من باطن الأرض.

١ – العشور التجارية:

تُعد العشور التجارية [٢] من الموارد المالية المهمة أيضاً فى عصر الموحدين، وقد أشارت رسالة موحدية إلى "الأعشار" كضريبة شرعية واجبة للدولة[٣] . ويرى البعض أن تعرفة الجمارك المتبعة فى بلاد المغرب – وإن كان قد طرأ عليها بعض

- Goitein : Jews and Arabs, Their Contacts Through The Ages , New York ,Schocken, 1955, P .80 .

[١] ابن عرفة : مصدر سابق، مخطوطة، ورقة ٤ .

[٢] العشور التجارية : مقدار من المال يؤخذ على البضائع المارة ببلاد المسلمين من تجار المسلمين وغيرهم (أهل الذمة وأهل الحرب) وهو غير عشر المحصول الذى يُفرض على الأرض الزراعية فى الزكاة، وكان النصارى يعاملون تجار المسلمين بالمثل، كما يفيدنا بذلك الرحالة ابن جبير أثناء مروره ببلاد الشام فى أواخر القرن الثانى عشر للميلاد، انظر : ابن جبير : مصدر سابق، ص٢٣٥، محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص ١٢٧، ياسين محمد أحمد غادى : مرجع سابق، ص ٩٦.

[٣] مجهول : مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢١، وأنظر أيضاً وثيقة رقم (٥ – أ).

التغيرات فى بعض الحقب وتغيير بعض الدول – كانت فيما يخص الوارادات تتراوح بين ١٠٪ و ٥, ١١٪، وكانت التعرفة الرسمية هى ١٠٪ وتسمي العشُر أو ٥٪ وتسمى نصف الحقوق [١].

وعلى الرغم من أن مواقف الموحدين السياسية مع أغلب الدول المعاصرة لهم كان يشوبها التوتر، فإنهم كانوا يرون ضرورة تشجيع التجارة الخارجية، ومن ثم لم يأخذوا عشوراً من تجار المسلمين الغرباء[٢]. وجاءت معاهداتهم فى الغالب الأعم مشجعة لأهل الصلح مع النصارى، فلم يأخذوا منهم غير العشر عن البضائع الواردة ؛ أما الجواهر واللآلى والزمرد والياقوت والنقود والفضة التى تخصص للبيع العمومى، فقد أخذوا عنها نصف العشر أي ٥٪ . وأسقط الموحدون العشر عن التجارة التي يبيعها التجار فى مراكبهم وعن السفن التى يبيعها تجار المدن الإيطالية لأشخاص مسلمين أو نصارى معاهدين، مع التشديد على عدم بيع البضائع المخطوفة [٣].

وقد يحدث أن يتم تفضيل مدينة أو دولة نصرانية، عن مدينة أو دولة نصرانية أخرى فى عملية فرض العشور على تجارتها . فمثلاً تشير الاتفاقات الموحدية مع مدينة جنوة ومدينة بيزا الإيطاليتين بشكلٍ واضح إلى تفضيل جنوة على بيزا، لأن الجنويون لا يتعدون على مراكب المسلمين. فمنحهم الموحدون فى عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م إمتيازات خاصة، إذ سمحوا لسفن جنوة بالإتجار فى كل المراسى،

---

[١] مجهول : رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، تحقيق أحمد عزاوى، ص١٦٤، ١٦٥، عبد الهادى التازى : المرجع السابق، ص ٢٥٢ .

[٢] ابن جبير : مصدر سابق، ص٥٦ .

[٣] عز الدين عمر موسى : النشاط الإقتصادى، ص٢٧٧، عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسي، جـ٦، ص٢٥٢، ٢٥٣ .

وخفضت عن تجارها العشور بحيث يدفعون ٨٪ بدلاً من١٠٪، بإستثناء مرسى بجاية حيث كان على التجار دفع العشر، على أن يذهب الفرق بينه وبين الامتياز إلى مدينة جنوة . وقد جدد هذا الإتفاق مرتين فى عام ٥٧١ هـ / ١١٨٦م وعام ٥٨٧هـ / ١١٩١م[١].

وبالإضافة إلى الحقوق المالية الأساسية التى تدفع على استيراد وتصدير البضائع، كانت هناك حقوق إضافية بعضها تحدده المعاهدات وبعضها يطبق حسب الأعراف المحلية . وكانت طبيعة هذه الحقوق فى أغلبيتها مبهمة . وهناك عبارات تتضمنها معاهدات البيزيين والقطلانيين تخص هذه الحقوق الإضافية . وقد كانت هذه الحقوق الإضافية هى موضوع طلب ملوك أراغون بإعفاء أو تخفيض نسبتها لصالح رعاياهم، ويعبَّر عن الحقوق الإضافية بكلمة (Matzems)، وعن الأساسية بكلمة (Deime)، وتذكر إحدى هذه المعاهدات ستة أو سبع أنواع من الحقوق الإضافية (Matzems) لكن هذه الحقوق كانت متعدِّدة ولا يعرف بالضبط عددها [٢]، والمشهورة منها هي :

ا – الترجمة : كانت حقوق الترجمة تُحصّل كلما طُلبت خدمات ترجمان، وخاصة فى المبيعات التى تتم خارج الحلقة، وكان معدّل الحقوق ٥ مليار يزى (Miliaresie) لقيمة مائة دينار بيزنطى من البضائع المباعة، وتساوى فى معاهدات فلورانس نسبة من قيمة البضائع . ولا تشير المعاهدات القديمة إلى

---

[١] عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص٢٧٦،

- Abdellatif Sabbane : Op.Cit , p .299 .

[٢] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسي، جـ٦، ص٢٥٣.

حقوق الترجمان إلا بصفة مبهمة أو لا تذكرها تماماً، وتشير معاهدات أخرى إلى نسبة ٥ مليار يزى(Miliaresie) كحقوق إضافية دون الإشارة إلى طبيعة هذه الحقوق، وقد استمر الجنويون فى أداء هذه الحقوق حتى القرن الخامس عشر[١].

٢ – حقوق الإرساء والملاحة : الحق الوحيد الذى جاء ذكره فى الأعراف البحرية فى القرون الوسطى بجميع أسمائه، وهو الذي أشارت إليه بعض المعاهدات .

٣– حقوق الحمّالة : ويتعلق الأمر بالذين ينقلون البضائع من الضفّة إلى الجمارك، أو داخل المدينة، وتعيّن الأعراف أجور هؤلاء المستخدمين[٢].

٤ – حقوق المجذّفين : كانت تحرص الجمارك على أن لا يطلب المجذّفون أجوراً أكثر من التى حددتها العادة والعقل .

٥ – الإبراء: لا تعرف طبيعة هذا الحق بالتحديد، ويرجح أنه الإيصال الذي يؤدي للتاجر والذي يكتب عليه أنه قد أدي كل حقوق الجمارك .

٦ – تصفية الحساب : وهو نفس الحق السابق، إلا أنه يشار إليه بصفة مختلفة، فى بعض المعاهدات مع القطلان .

٧ – حقوق الميزان والإيداع : وقد أقرت الأعراف تحصيل بعض الضرائب نقداً أو عيناً على عمليات الوزن، وكانت ضرائب مماثلة تفرض على باقى البضائع،

---

[١] المرجع السابق والجزء والصفحة.

[٢] المرجع السابق : ص٢٥٤،

- Abdellatif Sabbane : Op.cit , p .300 .

obeikandl.com

وكانت تؤدى عن كل (بالة) من الثوب حصة[١]، وعلى كل مائة جرة من الزيت نصف جرة، كما يؤدى نصف مليار يزى عن مائة قطعة من جلود الخروف، وسبعة بيزانطى ومليار يزى عن مائة قطعة جلد بقر، وسبع مليار يزى ونصف عن كل قنطار من شمع العسل . وأخيراً نسبة عامة وإضافية تعادل ثمانية مليار يزى عن قيمة مائة بيزانطى عن مجموعة كل البضائع التى يشتريها النصاري، وقد ورد فى الوثائق البيزية أن تجار الجمهورية يؤدون حقوق البيزيين طبقاً للأعراف، وكانت معاهدات الفورانسيين تقتصر على الإشارة إلى مبادئ عامة [٢].

٧- حقوق الرطل : وهى أن تقتطع جزءاً من البضائع التى تقدر بالأكياس أو بالبالات، و يعتقد أن هذه الحقوق هى نفسها التى تعرف بحقوق الميزان، لكن هذين الطريقتين تختلفان، فإن نفس المعاهدات التى تحتفظ بالأولى تلغى الثانية، وقد أحرز ملوك أراغون وميورقة على الإعفاء من حقوق الرطل .

٨ – حقوق الخُمس : كان بإمكان صاحب السفينة الأجنبى تصدير جزء من بضائعه معفاة من الرسوم تساوى أجرة كراء للسفينة، شرط أن يكترى هذه السفينة من إفريقيا، ولكن يظهر أنه كان على صاحب السفينة أداء حقوق الخُمس إلى الديوانة ٥٪ من قيمة الكراء، وهكذا فإن ربح الإعفاء الممنوح للتصدير لا جدوى فيه تقريباً .

٩ – المطزم (Matzem) : لم تحدد طبيعة هذه الحقوق بدقة ولعلها تخص بصفة عامة

---

[١] الحصة : هى النصيب الذى بُيِّن وكشفت وجوهه وزالت الشبهة عنه، وأصلها من الحصص، وهو أن يُحَصَّ الشَّعر عن مُقدّم الرأس حتى ينكشف، انظر : أبو هلال العسكرى: مصدر سابق، ص١٧٣ .

[٢] عبد الهادى التازي : مرجع سابق، جـ٦، ص٢٥٤، ٢٥٥.

كل الحقوق الإضافية التى تعرض عند نقل ووزن وإيداع البضائع على ما تقدم . أما الدَّلْم (Ladelme) بالقطلانية أيضاً فتعنى الحقوق العامة الجارى بها العمل، التى تفرض على الواردات والصادرات كما أسلفنا [١].

٢ – أخماس المعادن[٢] :

كان للموحدين على الأقل منذ خلافة يوسف بن عبد المؤمن اهتمام كبير بعمليات التعدين، وأخذ الخمس عن إنتاج المعادن، ففى عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م استأثر أهل السوس بالمعدن الذى ظهر عندهم فخرج يوسف بنفسه إلى السوس وبنى حصناً وأسكنه جنداً لتحصيل حق الخليفة من المعدن المذكور . ومن الراجح أن الخلفاء عّينوا قضاة فى مراكز التعدين، ليؤكدوا على تحصيل حقهم من المعادن . والراجح أن هذا المورد كان يدر دخلاً كبيراً على الدولة، لأن المعادن فى المغرب والأندلس كانت كثيرة، نذكر منها الحديد والكبريت والنحاس والتوتيا والزئبق والرصاص، والفضة [٣] . كما يذكر ابن عذارى وفرة المعدن الذى يستخرج من جبل السوس فيقول : " وذلك انه لما صح عند أمير المؤمنين – يقصد يوسف بن عبد المؤمن – أن المعدن الذى بجبل السوس على مقربة من بلاد هرغة، قد أخرج منه شئ

---

[١] المرجع السابق : ص٢٥٥.

[٢] أخماس المعادن : نظام ضريبى عُمل به منذ العهد العباسى، يقضى بأخذ خمس المعدن المستخرج من باطن الأرض، لحساب بيت المال، انظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب : مرجع سابق، ص٢١.

[٣] مجهول : كتاب عن الصناعة المعدنية بالسوس، تحقيق عمر أفا، فى (متنوعات محمد حجى)، دار الغرب الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م، ص ١٣٧،١٣٦، ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢١٢، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الاسلامي، ص٢٨٢،

- Abdellatif Sabbane : Op.Cit , p .295 , 296.

لم يعهد فى قديم الزمان ولا سله قط أهل ذلك المكان "[١].

و– أموال المسلمين التى ليس لها مالك :

اعتماداً على أن دولة الموحدين قامت على أساس دينى حيث التزم ابن تومرت والخلفاء الموحدين أحكام الكتاب والسنة فى النواحى المالية [٢]، يرجح أن الأموال التى أجاز الفقهاء والعلماء ضمها لبيت المال والتى ليس لها مالك معين قد ضمها الموحدون أيضاً للمخزن ومثلت مورداً من موارده، وهذه الأموال مثل أموال من مات من المسلمين وليس له وارث معين، وكذلك كالغُصَوب والعوارى والودائع وغير ذلك من أموال المسلمين سواءً أكانت عقار أو منقولة، بشرط تعذر معرفة أصحابها [٣] . فقد ضم الموحدون أموال على بن محمد بن حسن الأنصارى الجيانى الذي كان قاضياً بالأندلس ثم مشرفاً على بلاد حاحة بالقرب من مراكش، وذلك بعد أن مات عام ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤م ولم يكن له وارث إلى بيت المال [٤].

ثانياً – الموارد غير الشرعية :

وهي الموارد التي تميل إلي عدم مسايرة الشرع، وضمت الإتاوات والمصادرات بشتي اشكالها سواءً أكانت مصادرات من الموظفين الفسدة أو من المتعاونين مع أعداء الموحدين أو الفارين من المعارك أو مصادرات من التجار والمنحلين أخلاقياً، كما ضمت تلك الموارد المكوس والقبالات التي فُرضت علي

---

[١] البيان المغرب : قسم الموحدين، ص١٤٧، ١٤٨.

[٢] البيذق : أخبار المهدى، ص ١٣، ١٤، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ١٩٥.

[٣] ابن تيمية : مصدر سابق، ص ٣٦، عوف محمود الكفراوى : مرجع سابق، ص٨٣.

[٤] ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة، جـ٥، ص٣٠١ .

الصناعات والحرف المختلفة .

أ – الإتاوات :

والإتاوة هى ضريبة تؤخذ من العدو بإنتظام كل فترة، نتيجة انتصار المسلمين عليه أو دفعاً لخطر المسلمين وكسب رضاهم . وقد عرف العصر الموحدي هذا النوع من الموارد . فملك صقلية أرسل الإتاوات طلباً فى صلح الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م)، ويبدو أن هذه الإتاوة كانت كبيرة، كما يبدو أن هذه الإتاوة قد استمرت فى عهود لاحقه للخليفة يوسف بن عبد المؤمن [١] . ومن الذخائر التى وصلت الموحدين كجزء من تلك الإتاوة التى أرسلها ملك صقلية، حجر ياقوت يسمى الحافر، لأنه على هيئة وشكل حافر الفرس، وقد زين به الموحدون مصحف عثمان الذى اشتهر فى تلك الفترة[٢].

ولم تكن إتاوات ملك صقلية هى الوحيدة المعروفة فى عصر الموحدين ، فبعد أن تم لأبى يعقوب يوسف إخضاع شرق الأندلس دخل فى مفاوضات مع بنى غانية الذين وافقوا على إعطائه إتاوة سنوية، وظلّت هذه الإتاوة مستمرة طوال عهد أمير البليار إسحق بن محمد بن غانية، وظل هذا الوضع قائماً حتى عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م [٣].

---

[١] الذهبى : سير اعلام النبلاء، جـ٢١، ص ١٠١، محمد عمارة : مرجع سابق، ص٢٨ ، مصطفى عبد الكريم الخطيب : مرجع سابق، ص١٧.

[٢] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢١٢.

[٣] المصدر السابق : ص٢٢٥، عصام سالم سيسالم: جزر الاندلس المنسية [التاريخ الاسلامى لجزر البليار، ٨٩-٦٨٥هـ/ ٧٠٨-١٢٨٧م]، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٨٤م، ص٣٤١، روجى لى تورنو : مرجع سابق، ص ٨٣، على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين

بالإضافة إلي الإتاواة كانت الفدية وهى مقدار من المال يُدفع للنجاة من الأسر أو القتل من الأموال التى وصلت خزانة الموحدين، ولكن يبدو أن هذا المورد كان مؤقتاً ومحدوداً جداً فى فترة عصر الموحدين، لذلك لم يكن ذات أهمية كبيرة فى كتب تاريخ المؤرخين المعاصرين للموحدين [١].

ب– المصادرات :

تُعد الغرامات والعقوبات المالية الأخرى كالمصادرات من الموارد التى تمد خزانة الدولة بالأموال اللازمة لها، لذلك نجد أن الموحدين قد حصلوا على الكثير من الأموال من ذلك الاتجاه . وقد تنوعت المصادرات المالية فى عصر الموحدين، فشملت مصادرات من عمالهم المتهمين بالتقصير فى واجباتهم أو الخيانة فى أعمالهم، وكذلك مصادرة أموال الثائرين على الدولة أو المؤيدين للأعداء المحاربين، كما صودرت أموال المتخاذلين أو الفارين من صفوف الموحدين أثناء المعارك [٢] :

١ – مصادرة أموال الموظفين الفسدة :

كان حزم الخلفاء الموحدين ومراقبتهم المستمرة لعمالهم ومحاسبتهم على ما يجنون من أموال عن طريق غير مشروع سبباً في الحصول على الكثير من الأموال، وإضافتها لخزينة الدولة فيما يسمى بالمصادرات . فحين أساء مشرف أشبيلية التصرف عام

بأحوال دولة الموحدين، ص ١٩٥.

[١] ابن الخطيب : الإحاطة، جـ٤، ص٢٥٨.

[٢] ابن عذارى :.البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٠٧، أحمد عبد العزيز المزيني : مرجع سابق، ص ٨٨، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص ٢٨٦، ٢٨٧ .

٥٧١ هـ / ١١٧٥م، أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م) بمعاقبته ومصادرة أمواله، حيث تم مصادرة كل ما كان عنده من المال والعقار [١].

كذلك قام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م بمحاسبة وزرائه وعماله، ومنهم وزيره إدريس بن جامع الذي استصفى أمواله، ومشرف أشبيلية الذي أمر بسجنه والاستيلاء على أمواله[٢] . وفي عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م حاسب هذا الخليفة أيضاً عمال فاس ومكناسة وغيرهم، سواء كانوا ولاة أو مشرفين على الأموال، وبعد محاسبتهم ومصادرة أموالهم فرض المحققون عليهم أموالاً يدفعونها لخزينة الدولة، فقد بلغ جملة ما انتهبه هؤلاء من أموال الرعايا ما قدره أربعمائة ألف دينار وستين ألفاً، وأرغمهم الخليفة بدفعها فتعهدوا بأن يقسطوها على أنفسهم وأشهدوا العدول بذلك [٣] .

كما سار المنصور الموحدى (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) على نفس سياسة أبيه من مصادرة الأموال، فحين استقر الخليفة المنصور باشبيلية عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م وحاسب عماله هناك، ومن هؤلاء أبى سليمان داود بن أبى داود الذي غرّم مقداراً من المال بلغ خمسين ألفاً واستصفيت كل أمواله . كذلك حاسب الخليفة أبا على عمر بن أيوب على ما كان في عهدته وفى اختلاسه من أموال النفقات سائر المرتبات وكانت أموال ضخمة، و استفهم منه فلم يوجد له جواب، فأحصى ما

---

[١] ابن عذارى :البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٣٥.

[٢] المصدر السابق : ص١٣٩، محمد عبد الله عنان : الإسلام في الأندلس، جـ٥، ص٩٨.

[٣] ابن عذارى : مصدر سابق، ص١٥٨، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٨٧، جمال أحمد طه : مرجع سابق، ص١٠٦،

- Abdellatif Sabbane : Op.Cit , p 307 .

عليه من ديون فجمع نحو الخمسة عشر ألف دينار، فقبضت منه وطلب باستيفاء الباقي فعجز عنه فاعتقل مع أبى سليمان [١].

وفى المحرم من عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م نزل الخليفة الناصر(٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٤م) بمدينة فاس مجدداً النظر في أشغال العمال، وفى خلال إقامته بفاس وردت شكاوى قبائل المدينة وأهليها للخليفة ضد عامل المدينة أبى الحسن بن أبى بكر، فنكبه الخليفة وصادر ما وجد لديه من أموال وأثاث[٢] .

كما أن الناصر الموحدى عندما خرج عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م في حملة عسكرية للدفاع عن الأندلس ضد هجمات ألفونسوا الثامن ملك قشتاله، أنفذ أوامره باعتقال عامل فاس (عبد الحق بن أبى داوود) واستصفاء أمواله، بسبب ما وجده من كثرة التجاوزات المالية . وأرسلت الكتب إلى سائر الجهات بمصادرة أموال كل من خدم مع هذا العامل وأشترك معه في أعماله السيئة، ووجه الخليفة الناصر عقابه هذا إلى كل من كانت تطابق أحواله أحوال صاحب فاس[٣].

٢ – مصادرات أخري :

كانت أموال الثائرين على الدولة الموحدية أوالمؤيدين للأعداء محل مصادرة هي الأخرى، ففي عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م وأثناء حملة الخليفة أبى يعقوب يوسف على بلاد قفصه والقيروان، وعندما وصل بجاية اكتشف أن أحد الثائرين ويدعى ابن

---

[١] ابن عذارى : مصدر سابق، ص٢٢٤، ٢٢٥، جمال أحمد طه : مرجع سابق، ص ١٠٦.

[٢] ابن عذارى : مصدر سابق، ص٢٤٩.

[٣] المصدر السابق : ص ٢٥٩،٢٦٠ ، جمال أحمد طه : مرجع السابق، ص ١١١،١١٣.

المنتصر يحرض العرب على العصيان فصادر ما كان بيده من أموال والذخائر[١]. ولما مات الرشيد الموحدى غرقاً بويع أبو الحسن السعيد أخوه خليفة وتلقب بالمقتدر بالله، وكان من أوائل أعماله كخليفة أن قبض على جملة من شيوخ الموحدين وصادر أموالهم، كما قام بمصادرة أموال بعض من ناهض حكمه وعملوا على إثارة الثورات والاضطرابات ضد حكمه مثل سعيد بن زكريا الكدميوى وأخوه أبو زيد وكذلك أبو سعيد العود الرطب، فقد صادرة أموالهم خاصة التي احتفظوا بها في مراكش وذلك عام ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤م[٢].

ويبدو أن من تخاذل أو فرّ من صفوف الموحدين عقابه الموحدون بإستصفاء أمواله أيضاً، ففي عام٥٨٥هـ/ ١١٨٩م أمر الخليفة أبى يوسف يعقوب المنصور بالقبض على ابن سنان حين بلغ الخليفة أنه فرّ في إحدى المعارك ومصادرة أمواله[٣].

كما أن المصادرة للأموال طالت بعض التجار لاسيما المخالفين منهم، فابن عذارى يذكر أن عبد المؤمن قد أمر قائد أسطوله في بجاية بمصادرة أموال التجار الواصلين من الإسكندرية، ومن تثبت براءته من أي شبه منهم يعاد إليه ماله[٤]. ويتساءل البعض هل كانت هذه المصادرات من التجار، نتيجة إجراءات سياسية أم اقتصادية ؟[٥]. ويرجح أن تلك المصادرات من التجار كانت نتيجة أسباب

---

[١] ابن عذارى : مصدر سابق، ص١٤١، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٨٧،

- Abdellatif Sabbane : Op.Cit , p .308.

[٢] ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٣٤٦ .

[٣] ابن عذارى : مصدر سابق، ص٢٠٧.

[٤] المصدر السابق : ص٨١، ٨٢ .

[٥] عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٨١.

إقتصادية، فقد تكون هذه المصادرات عقوبة علي تأخر هؤلاء التجار في دفع ما عليهم من ضرائب[١].

وكما كان للرقابة الأخلاقية من جانب الموحدين للمجتمع المغاربى أثرها في التخلص من الكثير من الأخلاق الذميمة، كان لهذه الرقابة دور في تحصيل الكثير من أموال المنحلين أخلاقياً كعقوبة لهم على انحلالهم . فابن عذارى يذكر حملة المنصور الرقابية على لباس الأغنياء والطبقة الحاكمة، حيث أمر بمصادرة كل الملابس الغالية الثمن وأمر ببيعها وضم أموالها إلى المخزن، وكانت أثمان هذه الملابس كثيرة جداً [٢]. كما كانت الشرطة في عصر الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور تطارد الملهين والمغنيين والمنحلين أخلاقياً أينما وجدوا، وتصادر ما يمتلكونه من أموال وذلك بأمر من الخليفة ذاته محاولة منه للقضاء على تلك المفاسد [٣].

جـ – القبالات والمكوس الصناعية والحرفية :

تجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع من الموارد لم تجد اهتماماً كافياً في المصادر التاريخية لتلك الفترة، ومع ذلك فإن الراجح أن المكوس والقبالات [٤] على الصناعات والحرف في الفترة الموحدية

---

[١] ابن الزيات التادلي : مصدر سابق، ص٢٤٢.

[٢] البيان المغرب : قسم الموحدين، ص١٧٤.

[٣] المصدر السابق والصفحة

[٤] المكوس والقبالات : مفردها "مكس"، وهي ضريبة تفرض على النشاط الصناعي والتجاري، أما القبالات : فمفردها قبالة وهى الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع الرئيسية، أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١٥، ص٣٢٥، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٨٠، نريمان عبد الكريم أحمد : مرجع سابق، ص١٢٢.

قد قررت حسب دخل الصناع والحرفيين وترك تقديرها وتحصيلها لأمين كل صنعة في كل مدينة [١]. ويبدو أن مدلول تلك الضرائب كان يختلف في استعماله باختلاف المناطق والعصور، فقد روى ابن صاحب الصلاة أن يوسف بن عبد المؤمن لما شيد قنطرة اشبيلية " سبلها على المسلمين للعبور عليها في مصالحهم دون قبالة ولا إجازة عمالة"، فأطلق ضريبة المرور على القنطرة اسم "قبالة"، أي أن تلك الضرائب كانت معروفة آنذاك ولكنه لم يفرضها على تلك القنطرة [٢] .

والجدير بالذكر أنه فى نهاية عصر الدولة الموحدية اضطرب حبل الأمن وتقلصت أراضى الدولة، وانتشرت الفتن ونزلت المجاعات بالناس وتناهى الغلاء، فلجأ الخلفاء وعمال الولايات إلى فرض ضرائب جديدة مخالفة للشرع لم تسعف المصادر على تبيانها . حتى أن أبا دبوس الواثق بالله (٦٦٥-٦٦٨هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م) آخر خلفاء الموحدين فى المغرب الأقصى عندما أراد الخلافة لنفسه كان من أبرز شعاراته رفع المغارم والكلف عن الناس الحاضر والبادى، والاقتصار على الفروض الشرعية التى جرى عليها العمل فى أول الدولة [٣]. وعندما تسلم المرينيون السلطة ألغوا كل المكوس والضرائب غير الشرعية، التي أثقلت كاهل العامة في مراكش خلال العصر الموحدى لاسيما في أواخره[٤] .

ويرجح أن هذا العصر شهد فرض العديد من الضرائب غير الشرعية على

---

[١] ابن الزيات التادلى : مصدر سابق، ص٢٧٠، عز الدين عمر موسى : النشاط الإقتصادى، ص ٢١٠ .

[٢] المن بالإمامة : ص١٦٦، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٨٠ .

[٣] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٤٨، عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص٢٨٧ .

[٤] ابن خلدون : العبر، جـ ٦، ص٣٥٢، ابراهيم القادرى : الاسلام السرى فى المغرب العربى، دار سينا للنشر، القاهره، الطبعة الاولى ١٩٩٥، ص١٩١.

التجار، كما ينبئ ظهور المشرف في غير مدينة، فقد كانت هناك ضرائب تُفرض على دخول التجار إلى مراكش وغيرهم تسمى "الغرامة " تدفع عند أبواب مراكش، كذلك كانت هناك ضريبة تسمى "المعونة" غير معروف طبيعتها سوى أنها كانت تفرض على "الرحاب " [١] .

وبذلك فقد تنوعت الموارد غير الشرعية أيضاً، وكُثر الأموال المتحصلة منها، فبالإضافة إلي الإتاوات، ضمت تلك النوعية من الموارد المالية المصادرات بجميع أنواعها، وكذلك القبالات والمكوس الصناعية والحرفية .

ثالثاً – جباية الأموال ووفرتها :

وبعد عرضنا للموارد المالية بجميع أنواعها، لابد أن نعرض لمواعيد ومناطق وكيفية جباية تلك الموارد .

أ – مواعيد الجباية :

الراجح أن مواعيد جباية الأموال كانت تختلف من مورد لآخر، حسب طبيعة وظروف كل مورد . فأخماس الغنائم والفيء كانت تجبى عقب المعارك مباشرةً أو تحمل إلى العاصمة ثم يؤخذ حق المخزن منها[٢] .

أما بالنسبة لميعاد جمع أموال الزكاة فقد ارتبط جمعها بالشرع الذي حدد مرور الحول، وقد

---

[١] ابن عذارى : مصدر سابق، ص ٤٤٨، ٤٤٩، عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص٢٨٧ .

[٢] ابن عذارى : مصدر سابق، ص ٢٦، على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين باحوال دولة الموحدين، ص١٠٨، ١٠٩.

ذكر الذهبى أن الخليفة يعقوب المنصوركان يجمع ويوزع الزكاة فى العاشر من ذى الحجة من كل عام، يقول الذهبى : " فإذا كان عشر ذى الحجة، أمر ولاة الزكاة بإحضارها، فيفرّقها فى الأصناف الثمانية " [١] إلا أن أهل تونس تعودوا على أن يجعلوا يوم عاشوراء هو يوم إخراج زكاة اموالهم، والظاهر أنهم اعتبروا فى ذلك أن المحرم هو مبدأ السنة العربية الإسلامية الهجرية، ولعلهم كانوا فى هذه الأقطار يبتدئون فى المحرم عقد شركات التجارة، وتنتهى عنده المحاسبات بين الشركاء وتقويم سلع التجارة [٢]. وربما ترجع تلك الخصوصية التي تمتع بها أهل تونس في إخراج زكاتهم في البعد الجغرافي لهم عن عاصمة الدولة ومركزها مما أتاح لهم حرية تحديد مواعيد إخراج ما عليهم من زكاة بما يناسب ظروفهم .

وكان أمام المغاربة خياران رئيسان عندما يأتي ميعاد جمع أموال الزكاة، أداؤها فى وقتها أو التعجيل بها [٣]، أما الحالة الأولى : وهى الأداء فى وقتها فكان يجب أداؤها على الفور لأولى الأمر من الإدارة المالية[٤]. أما فى الحالة الثانية تعجيل الزكاة فكان يمكن إخراج زكاة عين أو ماشية قبل الحول بيسير، ولكن لا يمكن إخراج تلك الزكاة قبل مواعيدها بفترات كبيرة فلا يمكن إخراج زكاة ماشية قبل ميعادها بعامين مثلاً [٥] . ويبدو أن الحالة الأولى هى الحالة التى كانت متبعة فى أغلب الأحيان.

---

[١] تاريخ الإسلام : جـ٤٢، ص ٢٢٢.

[٢] محمد الطاهر بن عاشور : زكاة الاموال، المجلة الزيتونية، جامع الزيتونة، الجزء السابع – المجلد الاول، عدد ٥٧ بتونس، مارس ١٩٣٧م، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

[٣] القرافى :الذخيرة، جـ٣، ص١٢٧ .

[٤] المصدر السابق والجزء والصفحة .

[٥] المصدر السابق والجزء : ص١٣٧.

أما افتتاح الخراج [١] فكانت أمواله تجبى سنوياً[٢]. كذلك الجزية فمواعيد جبايتها سنوياً وذلك اعتماداً على ما قرره الشرع الإسلامى من مواعيد وطرق جباية الجزية [٣]. أما فيما يخص أعشار وضرائب التجارة فقد كانت كل الدول متفقة على أن يسدد التجار النصاري ديونهم فى الأوقات والظروف التى اتفق عليها في الاتفاقيات المبرمة بين الجانبين، أى أنه كان لكل دولة عاداتها الخاصة بها فيما يخص فترة التسديد[٤].

إلا أن مواعيد جباية القبالات وضرائب الصناعات والحرف كانت متقاربة نوعاً ما، فالفترة التى تفصل بين اجتماعات الخليفة يعقوب المنصور بأمناء السوق ليسألهم عن أحوال أسواقهم لا تتعدى الخمسة عشرة يوما، لذلك يرجح أن متابعة هؤلاء الأمناء لأسواقهم وضرائبها كانت تتخلل فترات هذه الاجتماعات [٥].

ب- مناطق الجباية :

فيما يخص مناطق جباية الأموال لاسيما الخراج لأنه مرتبط بالواقع الجغرافى أكثر من أى مورد أخر، نجد أن الخليفة عبد المؤمن بن على قد نجح فى مسح جميع أراضى مملكته، محدداً المناطق القابلة للفلاحة عن مناطق الغابات والأراضى القاحلة، وحصل من الولاة على بيانات دقيقة عن سكان كل ولاية وعن خواصها وثروتها وغلاتها، وكان يرمى من وراء ذلك إلى تقرير الضرائب بشكل دقيق، لاسيما

---

[١] إفتتاح الخراج : بكسر الهمزة، هو الإبتداء في جبايته، أنظر : محمد عمارة : مرجع سابق، ص٥٧.

[٢] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢١٣، حسن على حسن : مرجع سابق، ص١٩٠.

[٣] الماوردى : الاحكام السلطانية، ص١٨١ .

[٤] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى، جـ٦، ص ٢٥٦.

[٥] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢٣٦، الذهبى : تاريخ الإسلام، جـ٤٢، ص٢١٩.

الخراج[١].

وقد أشار المراكشى إلى المناطق التي يرتفع منها الخراج في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، حيث كان يأتيه الخراج من منطقة إفريقية، وبجاية وأعمالها، وتلمسان وأعمالها، والمنطقة الممتدة من مدينة رباط تازا إلى مدينة مكناسة الزيتون والتى أطلق عليها المراكشى لفظ المغرب . كذلك مدينة سلا[٢] وأعمالها، وسبتة وأعمالها، وأعمال سبتة هذه فى غاية السعة والضخامة، وأيضاً إلى مراكش وأعمالها، وأعمال مراكش أيضاً فى نهاية السعة [٣].

ويبدو أن هذه المناطق الضريبية ظل معمولا بها فى الدولة المرينية والتى قامت على أنقاض دولة الموحدين، فأبو الحسن فى كتابه الدوحة المشتبكة أشار إلى هذه المناطق الضريبية فى عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥ م حيث يذكر خمسة مناطق يجبى منها الموارد المالية لاسيما الخراج والأعشار وهى : فاس وما والاها من البلاد من سلا إلى تاز قطر واحد، وسبتة وما والاها من البلاد إلى الريف[٤] والهبط إلى قصر كتامة قطر

---

[١] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص ١٩٨، ١٩٩، على محمد الصلابى : اعلام اهل العلم والدين باحوال دولة الموحدين، ص ١٢٥، يوسف أشباخ : مرجع سابق، ص٢٤٨، روجى لى تورنو : مرجع سابق، ص٧١ .

[٢] سلا : مدينة قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلنطى باقصى المغرب، وسلا على الزاوية شماليها البحر وغربيها نهر جارٍ من الجنوب فى غربيه المهدية، أحدث الموحدون بها عمائر كثيرة، انظر : ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوى، دار الجيل، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٢، جـ٢، ص٧٢٤، الحميرى : مصدر سابق، ص٣١٩.

[٣] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢١٤، حسن على حسن : مرجع سابق، ص١٨٩، ١٩٠، وأنظر خريطة رقم (٤ –ب).

[٤] الريف : فى اللغة الأرض القريبة من الماء، وتطلق كلمة ريف فى مصر على الأراضى

ثان، ومراكش وما والاها من البلاد إلى السوس قطر ثالث، ودرعة وسجلماسة وما والاهما من البلاد قطر رابع، وتلمسان وما والاهما من البلاد إلى الجزائر قطر خامس ' وهذه القائمة تزيد على القائمة السابقة إقليم درعة وسجلماسة [١].

ج – طرق الجباية :

كانت الجباية فى العصر الموحدى أكثر تنظيما وتطوراً مما سبقه من عصور فقد كان فى ديوان الجباية الموحدى كتاب فى جميع جهات الولاية الواحدة يقيدون المتحصل فى أزمة وخرائط [٢]، ويضبطونها بالشهود ويرفعونها إلى الخليفة فيختمها بخاتمه، مما ييسر محاسبة العمال علي أعمالهم فلا يتعدون على الناس ظلماً ولا ينهبون أموال الدولة وإن فعلوا نكبوا [٣] . ورغم ذلك فهناك شكاوى من قبل بعض المغاربة لخلفاء الموحدين، بسبب تجاوزات عمال الجباية عند جباية الأموال، مثل جلد

الخصبة الداخلية الممتدة على ضفتى النيل، اما فى المغرب والأندلس فتطلق على الأراضى التى تحف بالبحر أو المحيط، وكلمة ريف أيضاً اسم علم للمنطقة الجبلية الممتدة فى شمال المغرب الأقصى، انظر : احمد مختار العبادى : مرجع سابق، ص ١٩.

[١] أبو الحسن بن يوسف الحكيم : مصدر سابق، ص ١١٧، ١١٨، حسن على حسن : مرجع سابق، ص١٩٠.

[٢] الخرائط : يرجح أن تكون مجموعة من الأوراق الخاصة بالمتحصلات الخراجية من الأراضى المزروعة، التى كان يقيدها متولى بيوت الأموال فى المدن المغربية فى العصر الموحدى كل عام، حيث كانت ترفع مجموعة هذه الأوراق المشهود عليها إلى الخليفة لمراجعتها، أنظر : عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص٢١٤، جمال أحمد طه : مرجع سابق، ص ٢٥٩.

[٣] عبد الواحد المراكشى : مصدر سابق، ص٢١٤،عز الدين عمر موسى : النشاط الإقتصادى، ص١٧٩، ١٨٠.

البعض بالسياط أو أخذ بعض الأموال كرشاوى للتغاطى عنهم [١].

وكانت الضرائب تفرض على الولايات وفقاً لحالة السكان وتربة الأرض، وكذلك وفقاً لخصبها وإنتاجها ونوع الإنتاج وثروتها من الدواب، وكان من المتبع عند جلوس الخليفة الجديد أن تترك المكوس المتأخرة [٢].

وكانت الغنائم تجمع عقب المعارك مباشرةً ثم يقوم الخليفة بتوزيع نصيب المحاربين المسلمين، ثم يأخذ خمس الغنائم المقرر للدولة بمقتضى الشرع ليضاف إلى المخزن، فيقول المقرى عن توزيع غنائم معركة الأرك: " وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع " [٣]، كما يقول ابن أبى زرع عن توزيع غنائم نفس المعركة :"وأخرج خمس الفيء، وقسم الباقى على المجاهدين "[٤].

أما الزكاة فكان الخليفة يجمعها ويفرقها بنفسه [٥]. وتجدر الإشارة إلي أن جمع الزكاة بالدراهم التي ضربها عبد المؤمن بن علي كان يستلزم معاملة خاصة بين المغاربة والدولة، ذلك لأن الدراهم المؤمنية كانت تساوي أربعة أخماس درهم الكيل الشرعي، فإذا كانت الزكاة – حسب صاحب تلخيص القول – تجب في مائتي من دراهم الكيل الشرعية، فإنها تجب في ثلاثة مائة وستون درهماً من الدراهم المؤمنية . وكان علي المغربي إخراج تسعة دراهم تقريباً من الدراهم المؤمنية علي عدد الدراهم

---

[١] مجهول : رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، تحقيق احمد عزاوي، ص٥٢٢ .

[٢] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩٩، ٢٠٦، يوسف أشباخ : مرجع سابق، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

[٣] نفح الطيب : جـ١، ص٤٤٣، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، جـ٥، ص٢١١، على محمد الصلابى :إعلام أهل العلم والدين باحوال دولة الموحدين، ص١٧٨.

[٤] الأنيس المطرب : ص٢٢٨، ٢٢٩.

[٥] الذهبى : سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٣١٧، على الصلابى : مرجع سابق، ص١٦٣.

المؤمنية التي تجب فيها الزكاة سابقة الذكر .أي أن من كان يدفع نصيبة من الزكاة للدولة بالدراهم المؤمنية كان عليه الزيادة في عدد تلك الدراهم عن شخص أخر يدفع بدراهم الكيل الشرعي بالشكل الذي ذكرناه[١].

أما فيما يتعلق بطريقة تحصيل الخراج فالنصوص تقول : " أنه ألزم كل قبيلة قسطها من الزرع و الورق "[٢] أى ألزمهم بدفع قيمة الخراج نقداً أم عينيا . يبين هذا النص أن الموحدين طبقوا نظام الإلتزام فى إستخلاص الخراج، وليس المقصود بنظام الإلتزام هنا أن يقوم الملتزم بشراء المجابى من الدولة بأن يدفع قيمة الخراج مقدماً ثم يجمعها من الفلاحين مع تحقيقه لربح كبير على حساب الفلاحين، لكن الإلتزام هنا فى عهد الموحدين إلتزام القبيلة أو أهل المكان بمقدار معين من الجباية، إذا عجز أحد الفلاحين عن دفع ما عليه يتحمل باقى الفلاحين الضريبة، ويعد هذا الأمر عاملاً من عوامل التعسف الجبائى[٣].

ويؤكد الاستنتاج السابق ما أورده صاحب المستفاد وهو يترجم لأبي خرز يخلف الأوربي المتوفي في عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦م والذي كانت له أرض يزرعها، فإذا كان وقت دفع الخراج الذي علي الأرض يقول أهل بلدة : " نخرج أرض الفقيه من الزمام " فيقول لهم الفقيه : " لا تفعلوا ذلك لأنكم إذا أسقطتموها علي رجعت علي الباقين من الحارثين وهذا لا يمكنني فعله، ولو سقطت من الأصل ولا يرجع بكرائها علي أحد لقبلت منكم ذلك " . فوصل ذلكم للناظر في أمر الخراج، فأخذ

---

[١] مجهول : تلخيص القول، ص٩.

[٢] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩٩ .

[٣] حسين سيد عبد الله مراد : فلاحو فاس، ص ٧٥، ٧٦،

-Yasser Benhima :Op.Cit , p.5.

له ظهيراً ممن له الأمر بإسقاط الخراج عنه ولا يرجع ما ينوبه علي أحد[١].

وعلي أية حال لقد جعل الموحدون التجمع القبلي أو القروي الوحدة الأساسية لجمع الخراج، خاصة أن الملكيات الفردية صغيرة ومتفرقة، وجمع الخراج بهذا الشكل ييسر لأمر الجباية[٢]. خاصة وأن فرض الخراج بشكل قبلى وجماعى معروفاً منذ بدايات الفتح الإسلامى، فكان الفاتحون العرب يصالحون شيوخ القرى على ما تدفع القرية فى مجموعها[٣].

وكان يقوم بتحصيل الخراج ملتزمون يسمون" القشاشون " وجه ابن غازي لهم الكثير من الانتقادات بسبب أسلوبهم في تحصيل الخراج : " وكان المشترون لها قوماً لا خلاق لهم، يقال لهم القشاشون، فتستطيل أيديهم على حظوظ الرعية، ويضيقون عليهم حتى يبيعوا منهم حظوظهم بثمن بخس، أو يشتروا منهم حظ المخزن غالياً "[٤] . وكان يُحفظ ما تم جمعه من غلات فى سنبله ويخزن فى مواضعه، لاستعمال الجيش فى حال مروره فى حملة عسكرية، ثم يجمع فى ساعة الحاجة فى موضع واحد[٥].

أما الجزية ففيما يخص قواعد جبايتها لا يضرب أحد من أهل الذمة من أجل

---

[١] التميمي : المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب، تطوان، الطبعة الأولي ٢٠٠٢م، ص٩٩، ١٠٠، حسين سيد عبد الله مراد : مرجع سابق، ص٧٦ .

[٢] حسين سيد عبد الله مراد : فلاحو فاس، ص٧٦ .

[٣] ابن آدم القرشى : مصدر سابق، ص٦١.

[٤] ابن غازى : مصدر سابق، ص ٧٤، حسين سيد عبد الله مراد : فلاحو فاس، ص ٧٥ .

[٥] ابن الأثير : الكامل، جـ٩، ص٣٢٨، عز الدين عمر موسى : النشاط الإقتصادى، ص ١٧٦ .

أخذها منهم، ولا يقامون فى الشمس ولا غيرها، و لا يجعل عليهم فى أبدانهم شئ من المكاره، ولا يجوز قتلهم ولا غنم أموالهم ولا سبى نسائهم إذا إمتنعوا عن أدائها، لكن يحبسون من أجلها حتى يؤدوا ما عليهم [١]. والراجح أن الموحدين طبقوا هذا الأمر في دولتهم علي أهل الذمة .

أما فيما يخص جباية الأعشار والضرائب التجارية فكان تحصيل تلك الضرائب حسب الأعراف الجارى بها العمل بواسطة موظفين مسلمين وتحت مراقبتهم، لكن بعد الإتفاق – أحياناً – بين الخليفة الموحدى وبعض الدول النصرانية مُنح الأوربيون الحق فى التكلف بتحصيل حقوق الديوانة لحساب المخزن، إذا ما تبين أن مراقبة السير العادى لهذه العملية كان فى صالح البلاد . وقد عرفنا أن مدينة جنوة الايطالية حصلت منذ عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م على ربع مداخيل ديوانة مدينة بجاية، وقد كان للموظفون النصاري المشاركة فى مراقبة تحصيل الحقوق فى كل الظروف، وقد كانت المشاركة أكثر أهمية عندما كان الخلفاء يمنحون تنازلاً كاملاً للتجار النصاري فى بعض الديوانات ومداخيل بعض القَبَالات[٢].

وتسديد تلك الأعشار والضرائب لم يكن لها قاعدة موحدة، لكن كان هناك عُرف متبع على أن لا يطلب التجار النصاري بتسديد رسوم أخرى إذا أدى حقوق البضائع التى اشتراها، وأخذ براءة تؤكد ذلك، وأن يمكن من نقل وتصدير البضائع التى لم تبع دون أداء حقوق التصدير أو الاستيراد . وأخيراً إذا وضعت الحسابات وتمت كل الشكليات لا يبرر أى شئ تعطيله هو أو تعطيل بضائعه . وقد كان للتجار الحرية فى تكليف وكيل لترتيب أمورهم، ويمكن لهم السفر قبل إجراء كل

---

[١] الماوردى : الأحكام السلطانية، ص١٨٦، مصطفى عبد الكريم الخطيب : مرجع سابق، ص١٢٣ .

[٢] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى، جـ٦، ص ٢٥٥.

الشكليات . وقد كان هناك عرف : أن لا تفرض ضرائب الاستيراد إلا بعد بيع البضائع فعلياً[١].

أما المعادن – فكما ذكرنا – فرض عليها الموحدون الخمس وإن امتنع أهل معدن عن إعطاء الخمس سير الموحدون عليهم حملة عسكرية، كالذى فعله يوسف فى السوس لما ظهر معدن جديد وامتنع أهله عن إخراج حق الدولة، والظاهر أن الموحدين قد عينوا قاضياً فى كل معدن حتى يؤكدوا حق الدولة فيما يستخرج[٢].

د– وفرة الأموال المجباة :

أدي تعدد الموارد المالية في عصر الموحدين إلي زيادة الدخل المالى، حيث جمعت الأموال الكثيرة وقد أشار إلى كثرة الجبايات ابن خلدون بقوله:" وقطر المغرب، وإن كان فى القديم دون إفريقية، فلم يكن بالقليل فى ذلك العصر، وكانت أحواله فى دولة الموحدين متسعة، وجباياته موفورة " [٣] . وهذا يفسّر لنا كثرة البناء والتعمير والرخاء الذى شهدته البلاد فى عهد الموحدين، ووفّر الأموال فى أيدى الناس، يقول المراكشى : " وكان – أى يوسف بن عبد المؤمن – شديد الملوكية، بعيد الهمة، سخياً جواداً استغنى الناس فى أيامه، وكثرت فى أيديهم الأموال" [٤].

هكذا تنوعت الموارد المالية لدولة الموحدين لتشمل موارد شرعية مثل أخماس

---

[١] المرجع السابق والجزء : ص٢٥٦.

[٢] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢١٢، عز الدين عمرموسى : الموحدون في الغرب الاسلامي، ص٢٨٢، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٤٧، ١٤٨،
- Abdellatif Sabbane : Op.cit , p .295 , 296.

[٣] المقدمة : ص٢٥٨.

[٤] المعجب : ص١٩٩، حسن على حسن: مرجع سابق، ص٢٠٨،٢٠٩.

الغنائم والفيء، كما شملت تلك الموارد الزكاة سواءً زكاة الفريضة وزكاة الفطر، وكذلك الخراج والجزية كموردين ماليين مهمين، بالإضافة إلى ضرائب تجارية وصناعية مثل العشور التجاري وأخماس المعادن، وكذلك أموال المسلمين التى ليس لها مالك .

كما تعرضنا للموارد غير الشرعية والتي شملت الإتاوات والمصادرات بجميع أنواعها مثل

مصادرة أموال الموظفين الفسدة، ومصادرة أموال المناهضين لحكم الموحدين، ومصادرة أموال المتخاذلين والفارين من صفوف الموحدين، ومصادرة اموال بعض التجار، ومصادرة أموال المنحلين أخلاقياً، ومن هذا النوع من الموارد أيضاً – أي الموارد غير الشرعية – القبالات والمكوس الصناعية والحرفية . كما تطرقنا لجباية الأموال ووفرتها وذلك من حيث مواعيد ومناطق وطرق الجباية ومدى وفرة الأموال . إذن كانت الموارد المالية لدولة الموحدين كثيرة ومتعددة، ولكن هل كانت النفقات المالية بهذه الكثرة والتعدد ؟ هذا ما سنعرفه في الفصل الثالث.